

الخبرات النفسية والتربوية للشخصية الفردية
والجمعية وعلاقتها بالتوافق مع قضايا
العالم المعاصر وتحدياته

**Psychological and educational experiences of the
individual and collective personality and relationship
issues in line with the contemporary world and its
challenges**

د. عبدالرحمن عثمان عبدالمجيد

جامعة أم درمان الإسلامية

**Dr Abd El Rahman Osman Abd El Majeed
Umdurman Islamic University**

Abstract

The present study started with nomenclature as used in the paper; namely, what is meant by psychological, social, skill, knowledge and religious, and the fields these incorporated, such as the educational, economic and social. It pointed out the factors that facilitate gaining the experience needed for coping with current problems.

The study adopted the analytic and theoretical approach for interpreting reactions between individuals and society in the light of the individuals' experiences. In the end it reached the following results:

1. There is a strong relationship between integration and stability on the one hand and man, way of life and earth on the other.
2. Lack of dialogue and negotiation experience amongst individuals may lead to inexperience and inability to accept other people's points of view, and consequently lead to conflict.
3. Religious experience has a positive effect in the individual's thinking, behaviour and soul.
4. Preparing the individual for the future depends on the introduction of educational institutions that permit the individual to gain skills and qualifications as well as integration among his diverse faculties. That can be achieved through various activities and teaching methods, technology, staff and vision.

1. مقدمة

1.1 تُعد التربية من أكبر عوامل بناء الذات والتغيير في المجتمعات المعاصرة، كما تُعد من أعقد المشكلات التي تواجه الأمم في العالم المعاصر. ذلك لارتباطها بالثقافة وبنواة الحضارة من العباقرة والموهوبين، ولعلاقتها الدينامية بالسياسة والاقتصاد والمجتمع، وبإعداد شخصية الفرد المتكاملة عقلياً ونفسياً وجسدياً وروحياً، وباعتبارها حجر الزاوية الذي تتجلى فيه ملامح المجتمع وأصالته وعبقريته وحضارته ويتجلى فيه سواء الفرد وتوافقه الإيجابي مع ذاته ومجتمعه وعالمه. يتفق معظم العلماء على أن شخصية الفرد والمجتمعات تُبنى من خلال ما تقدمه التربية من محتويات وبرامج وهيكلية وتقنيات ومنهجيات تعليمية تستمدّها من واقع الأمم الثقافي والاجتماعي والسياسي.

2.1 عُرِف الاهتمام بالخبرات التربوية منذ عهد كونفوشيوس وسقراط ومحاولات جون كالفن (1509 - 1564) ومارتن لوثر (1483 - 1546م. عهد الإصلاح الديني الكنسي)، وإبان الثورة الصناعية في أوروبا مروراً بالثورة الفرنسية التي رفعت شعار الحرية والأخوة والمساواة، وظهور القوى الاستعمارية انتهاءً بالعصر الحديث. لقد تأثرت التربية في سياقات الغزو الفكري والسياسي والحضاري بالصراعات الطائفية والطبقية والإيدولوجية. فأصبحت أداة للتبعية الثقافية والحضارية، كما ظهر ذلك جلياً في سياسات "الأبارتايد (التفرقة العنصرية)" والتي هدفت لتربية شخصية فرنسية المحتوى العقلي والانفعالي والدافعي والسلوكي. فخلفت بذلك شخصية مغترية وغير متوافقة، تعيش خارج ثقافتها وحضارتها. فتعددت النماذج وتباينت، وأثارت الكثير من الجدل العلمي في المراحل التاريخية المختلفة؛ مثل نماذج هربرت سبنسر وجون ديوي ومصطفى كمال أتاتورك وسلامة موسى وطه حسين وتوفيق الحكيم ومصطفى صادق الرافعي وحسن البنا ومحمد إقبال ومالك بن نبي وغيرهم.

يُنظر للخبرات التربوية - التي لا تهئ الأفراد والمجتمعات لأداء الأفعال المتحضرة والمبدعة، ولا تبني الفعالية الذاتية والجمعية لديهم، ولا تهتم بتنمية الشخصية الذكية، ولا تعلم الأفراد والمجتمعات مهارات وضع الأهداف وحل

المشكلات والتوافق مع قضايا العصر وتحدياته - على أنها خبرات سلبية، خبرات الغالب المفروضة على المغلوب. كذلك يُنظر للخبرات التي لا تراعي عقائد وأخلاقيات وقيم الأفراد والمجتمعات كغايات للمهارات التي تهدف إلى تعليمها وكدعائم للبرامج التي تود إنفاذها. وقد شهد العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م ما يمكن تسميته بالحرب التربوية، التي استهدفت صياغة الخصائص الفكرية والوجدانية والسلوكية والروحية للأفراد والشعوب وفق مرجعيات ومعايير تعبر عن مصالح أحادية وقطبية لا تراعي الثابت والمتغير في قيم وثقافات وأخلاقيات من تريد إعادة صياغتهم. وقد تفاعلت إفراسات الحادي عشر من سبتمبر مع الواقع الشائك في كثير من الدول متعددة الثقافات، التي فشلت برامجها لتحقيق التواصل الإيجابي بين العلماء والمفكرين والساسة للوصول إلى منهج الالتقاء حول الجامع، أو الحد الأدنى أو وحدة التنوع والموالاة بين الذين ينقاسمون العيش في العالم المعاصر. فغاب بينهم المنهج الموضوعي للحلول الإنسانية، وساد منطق الصراع بمفرداته الذرائعية والعشوائية في انتقاء الثابت والمتحول من كم تلك الثقافات المتنوعة. فانتسع الخرق على الراقع، وكبرت الحلقة المفرغة وضعف ضبط التفاعل ما بين الأشخاص بعضهم بعضاً من جهة وما بين الجماعات بعضها بعضاً، من جهة أخرى.

3.1 ولا شك بأن التصرف السائد بين الشعوب في العالم المعاصر يحكمه منطق القوة، قوة العلم والتكنولوجيا التي تفتقر للخبرة التوقعية المستقبلية والتي يمكن أن ينطبق عليها قول لنكتون كما أورده سكنر: "كل مصدر جديد زاد الإنسان به قوته على الأرض استخدم في تقليل فرص أحفاده للاستفادة من إمكانيات المستقبل. لقد كان كل تقدم أحرزه الإنسان يتحقق على حساب خراب بيئته وهو خراب لم يتوقعه ولا يمكن إصلاحه" (ب.ف. سكنر 1980). وهو قول يؤكد على أهمية إجراء تغييرات أساسية في السلوك الإنساني ومراجعة ما تعلمه المرء من الخبرات الشخصية والجمعية - أي إعادة قراءة الماضي بالصورة التي تمكن من فهم القضايا الإنسانية

والعالمية المعاصرة، ومن معالجة أوهام العظمة والسيطرة عند الأفراد والجماعات. إن الحروب والصراعات والانشقاقات - كما يقول علماء النفس - تبدأ في عقول الناس، مما يزيد من أهمية التوجه القاصد لتنمية قدرات الإنسان ومعتقداته وخبراته الإيجابية عن نفسه وعالمه وعن الآخرين الذين يشاركونه الحياة على الكوكب الأرضي.

4.1 إن المعاملة هي الدين - أي الإسلام لدى المسلم. وإن نقص خبرات المعاملة ينم عن أزمة المعتقد والتي تمس بدورها السلوك البشري مما يتطلب معالجة النقص الخبري الديني لإجراء التعديلات الأساسية في السلوك البشري. والناس - بدون توجيه وإرشاد ومصادر ومرجعيات ثابتة للحكم والسلوك - سيخضعون بلا شك لتكرار تواريخهم الخيرية والسلوكية الخاطئة والمؤذية وإعادتها. ويتعلمون الطرائق غير الفعالة للعيش والتوافق مع قضايا عالمهم المتجددة والمعقدة. ويصبح تاريخهم الخبري عبارة عن دائرة مفرغة. وهذا الواقع يزيد من حاجة الأفراد والجماعات - كما يرى الباحث - إلى التحكم والضبط الخبري الذاتي بالإضافة إلى التحكم الخارجي حتى يكون للأفراد والجماعات منهجٌ محددٌ يصطفونه ويتبعونه حيال القضايا والمواقف في حاضرهم ومستقبلهم. ويكون لوقائع العالم من حولهم معنى يفسر موقفهم من تلك المواقف والقضايا. ويساعدهم على اختيار الاستراتيجيات الملائمة لحلها، وعلى إمكانية نقل خبراتهم بالصورة التي تضمن الصيرورة التاريخية للفعالية الفردية والجمعية وفي إطار المجال المحلي والإقليمي والعالمية.

2. مشكلة الدراسة

لا يخفى على الملاحظ أن أكثر ما يميز هذا العصر هو سرعة التغير العلمي والمعرفي والتقني، بجانب الصراعات اليومية بين الأشخاص والجماعات والشعب الواحد والشعوب المتعددة الثقافات وذات الثقافات المشتركة. يوحى هذا الواقع المعاصر بضرورات عديدة أهمها - كما يرى الباحث - نقل الخبرات الكفيلة بإعداد إنسان العصر وتأهيله بالمهارات والكفايات والأدوار والمسئوليات التي تجعله قادراً على الاعتماد على

نفسه، وعلى اتخاذ اختياراته وقراراته وتنظيم جهوده وتنسيقها وتوظيفها، وعلى احترام حقوق الآخرين والالتزام بالمواطنة والتوافق مع قضايا عالمه المعاصر وتحدياته، دون إحساس بالعجز أو لجوء للتقليد أو إفراط أو تفريط، ودون عشوائية في الثبات أو التحول. ولا شك في أن تحقيق هذا القدر من التوافق يحتاج إلى النمو الخبري والحماس والوعي والإرادة، حتى ينشأ في قوام الفرد النفسي الحافز إلى التعلم المستمر من مصادر الخبرات في كل المجالات التي يشعر الإنسان في عالمه المعاصر بنقص خبراته فيها. فالتوافق - في نظر الباحث - عملية كلية كأي قضية أو مشكلة تربوية، تحده عوامل متعددة ومتداخلة ومتفاعلة.

انطلاقاً من قناعة الباحث بأن الخبرات النفسية والتربوية المتكاملة والمتفاعلة هي أهم مصادر بناء الذات وتحقيق التوافق مع مطالب العالم المعاصر وتحدياته، فقد ركزت هذه الدراسة على الإجابة على التساؤلات التالية :

- (أ) ما الخبرة و مجالاتها وطرق اكتسابها؟
- (ب) ما عوامل الثبات والتغير في الخبرة؟
- (ج) ما علاقة الثابت والمتغير في الخبرة بمهارات المناقشة والحوار؟
- (د) ما مواصفات وأهداف مؤسسات المستقبل التربوية الناقلة للخبرات النفسية والتربوية الملائمة وعلاقتها بالذكاءات المتكاملة والفعالية الفردية؟

3. أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف على الخبرة ومجالاتها، والعوامل الميسرة والمعوّقة لاكتسابها. وذلك إلى جانب معرفة الثابت والمتغير فيها، والكشف عن أهم أهداف وآليات وخصائص مؤسسات المستقبل التربوية في تعليم الخبرات الملائمة للتوافق الإيجابي مع قضايا عصرها وتحدياته.

4. أهمية الدراسة

تتضح أهمية الدراسة من خلال اهتمامها بانعكاسات التطور الهائل في مجال الثورة المعرفية والتقنية والصراعات السياسية والثقافية على جوانب الحياة المختلفة للأفراد

والشعوب وتحديدها لطبيعة الخبرات التي يحتاجها الفرد والجماعات لمواكبة التطور ومواجهة آثار الصراع. كما تبرز أهمية الدراسة فيما قد تستثيره نتائجها من تساؤلاتٍ ربما تسهم في تحريك اهتمامات الباحثين والمتفكرين والمفكرين للدراسة المتعمقة والمتكاملة للخبرات النفسية التربوية التي يحتاجها الإنسان والمجتمع المعاصر. وفي حدود علم الباحث، فإن الدراسة تعتبر دراسة رائدة في هذا المجال.

5. منهج الدراسة

استُخدم المنهج التحليلي النظري. وذلك بتركيز الباحث على الأسس النظرية لدور الخبرات النفسية والتربوية في بناء الشخصية الفردية والجمعية القادرة على التوافق مع قضايا العالم المعاصر، ومطالبه وتحدياته، على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، وفي تفسير ما يحدث من تفاعلات بين الأشخاص والمجتمعات في ضوء البناء الخبري للفرد والمجتمع.

6. الإطار النظري والدراسات السابقة

1.6 تعريف التربية

ترجع كلمة التربية في أصلها اللغوي إلى الفعل "ربا" "يربو"، أي "نما" و"زاد". وتعني الكلمة بجانب الازدياد والنمو، التنشئة والتغذية. يُقال "فلاُنٌ رَبِيَّ في بيتي"، بمعنى نشأ فيه. ويُقال "رَبَاهُ" بمعنى "نشأه ونمى قواه الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية والنفسية والروحية".

واصطلاحاً، فإن التربية تعني تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها روحياً وعقلياً ووجدانياً وخلقياً واجتماعياً وجسماً (الزنتاني 1993).

يُستنتج من هذا التعريف أن التربية هي العامل الأساسي في تنمية كل مقومات الشخصية، وأنها عملية تقوم بها كل المؤسسات ذات الصلة لمساعدة الإنسان لينمو متكاملًا، وليصبح فاعلاً في مجتمعه وعالمه، وليسعد نفسه وغيره في الدين والدنيا. يعتبر التعليم جزءاً من التربية يهدف لتنمية العقل والمعرفة. ومن المقومات الأساسية للتربية في الثقافة الإسلامية، كما يرى الدبو (في زين العابدين 1994)، نشر العلم

والمعرفة بين الناس وتحقيق المساواة بإتاحة الفرص لكافة الناس، ليضطلع كلُّ بدوره في مجتمعه حسب رغبته وقدرته وخبرته ونظراته الشمولية لقضايا الحياة، وكفالة الحرية لكل فرد ليكون "نفسه" وليخوض كما يريد في أسبار العلم، وإتاحة الفرصة للمشاركة في اتخاذ القرار ومراعاة الفروق الفردية. لقد ركز الإسلام على أساليب القدوة والموعظة والإقناع والافتناع والترغيب والترهيب في نقل الخبرات التربوية.

2.6 الخبرات النفسية والتربوية

إن الخبرات النفسية والتربوية - كم يُعنى بها في هذه الدراسة - هي مجموع المهارات والخصائص التي يكتسبها الفرد والمجتمع لتكامل الشخصية الفردية والجماعية وتوازنها بالشكل الذي يحقق التوافق مع قضايا العالم المعاصر وتحدياته، ويحافظ على المنهج والأرض والشهود الحضاري للأفراد والمجتمعات. تشمل هذه الخبرات الخبرات التربوية والنفسية والاجتماعية والحرفية والتوقعية والدينية. تتمثل الخبرات التربوية في معرفة الفرد للحقائق التربوية والتعليمية وتطبيقها. وتشمل الخبرات النفسية والتفاعل بين خبرات الماضي والحاضر وتعلم مركب خبري لمقابلة معطيات الواقع. وتتكون الخبرات الاجتماعية من تفاعلات الأشخاص بعضهم بعضاً من جهة، وبين الجماعات بعضها بعضاً من جهة أخرى أيضاً. أما الخبرات الحرفية المهارية فتتمثل في تعلم الإتقان والإبداع. والخبرات التوقعية هي خبرات تراكمية للزمن الشخصي والجمعي في أبعاده الماضية والحاضرة. تهب صاحبها القدرة على استشراف المستقبل، ووضع الفروض عنه، والاستعداد لمواجهة مشكلاته وتحاشي أضراره والتوافق مع مطالبه وتحدياته. أما الخبرات الدينية فإنها استدخال الفرد والمجتمع للمنهج الديني. تنعكس في أفكار الفرد ومشاعره وسلوكاته في علاقته بنفسه ومجتمعه وبيئته. يتم تعلم كل الخبرات عن طريق التربية الرسمية وغير الرسمية، الذاتية والغيرية (أسعد 2000).

3.6 الشخصية

يشير الزاوي (1973) إلى أن الشخص هو سواد العين وغيره يراه الإنسان

من بعيد. إن كلمة "شخصية" في اللغة العربية من مادة "شخص". وأن الشخصية هي سمات تميز الإنسان عن غيره. والشخصية القوية هي التي تتمتع بالصفات المميزة والإرادة والكيان المستقل. وشخص الشيء عينه، والشخصية هي الفرد المعين (عويضة 1996).

أما في اللغات الأجنبية فالكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية "بيرسوناً" (*persona*) ومعناها الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه من أجل التكرار. شاع عند الرومان استخدام مفهوم الشخصية بمعنى الشخص كما يظهر للآخرين، وليس كما هو حقيقة.

ويعرّف البورت الشخصية اصطلاحاً بأنها "التنظيم الدينامي داخل الفرد للأجهزة الجسمية والنفسية والتي تحدد فكره وسلوكه المميزين" (عبدالمجيد 2006).

4.6 التوافق

يعرفه فوزي (د) بأنه "قدرة الإنسان على الاختيار بين البدائل المختلفة من الأساليب التوافقية كلما اقتضى الأمر منه قدراً من المرونة ليحتفظ بالتوازن القائم بين ما تتطلبه شروط البيئة الخارجية وما تفرضه احتياجاته النفسية الراهنة عند كل موقف". يُستخلص من هذا التعريف أن التوافق عملية مستمرة تفرضها طبيعة التطور والتغير المستمر لحركة العالم والمجتمع من جهة. وتشكل خبرات الفرد ونموها من جهة أخرى، بالإضافة لما تمليه ثقافة المجتمعات وقيمتها وأخلاقها في كل مرحلة من مراحل العالم المعاصر - عالم الألفية الثالثة - أي القرن الحادي والعشرين.

5.6 خبرات الماضي وتجليات الحاضر

1.5.6 يذكر بطاينة (المذكور في زين العابدين 1994) قول ابن الجوزي، يصف ما آل إليه تفاعل الأشخاص مع بعضهم والجماعات بعضها وبعض في ذلك العصر: "كانت أيدي الحنابلة مبسوسة في أيام ابن يوسف فكانوا يتسلطون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع، فلما مات ابن

يوسف، وزالت شوكة الحنابلة، استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة".

يُستخلص من هذا الوصف لحال المسلمين وقتها أن أصحاب العقيدة الواحدة والمجتمع الواحد ما كان يعصمهم من ظلم بعضهم البعض إلا العجز. يرى الباحث أن مثل هذا التفاعل يعكس الخلل الواضح في الخبرات التربوية والنفسية والشخصية. فهو تفاعلٌ يفتقر إلى كفالة الحرية للغير للخوض في أسفار العلم. ويعكس غيابَ منهج الإقناع والافتناع، ويعتمد على الترهيب وعدم المساواة بين فقهاء السلطان وغيرهم من الفقهاء في المشاركة في اتخاذ القرار، وفي إبداء وجهة النظر في أمور الدين والدنيا. كما يعكس نقص الخبرات التوقعية، والمستقبلية لتلك الجماعات للزمن الشخصي والجمعي (زمن موت ابن يوسف مثلاً)، وبالتالي عدم قدرتهم لاستشراف المستقبل ووضع الفروض عنه والإعداد لمواجهة مشكلاته وتجنب أضراره والتوافق مع قضاياها ومطالبه. والسؤال الذي يطرح من واقع هذه الخبرة الماضية هو: هل كان هذا المشهد مقتصرًا على تفاعلات الحنابلة والشافعية وقتها أم له امتداداته في عالمنا المعاصر؟ وتجييب الملاحظات اليومية لأي ملاحظ لما يدور في العالم اليوم بأن المشهد هو أكثر المشاهد اليومية حضوراً في تفاعلات الأشخاص والجماعات مع بعضهم البعض، ويمكن الاستدلال على ذلك بالمشهد العراقي والمشهد الفلسطيني على سبيل المثال.

2.5.6 إن امتداد طريقة التفكير، وحل المشكلات والمشهد الماضي في حياة الناس والشعوب المعاصرة، يذكر الباحث بقول ألبرت آينشتاين بأنه: "لا يمكن حل المشكلات الرئيسية التي نواجهها بمستوى التفكير بنفس الذي كنا عليه ساعة أوجدناها". وإذ المرء يشاهد القبور وهي تضم أصحاب الأفكار المتصارعة والمنقسمين والمنشقين، وفي الوقت نفسه - يرى ويسمع من حوله وبعد

آلاف السنين من موت أولئك - المنافسات الضيقة الأفق والصراعات والانشقاقات غير المجدية وهي تقسم الأفراد والجماعات إلى شيع وطوائف وأحزاب وقبائل وأقطار ممزقة ومهترئة وفي أحلك الظروف، لا شك في أن المرء يحس غياب الإستراتيجية والذكاء. ويحس عجز طريقة التفكير تلك في استيعاب كل أبعاد الماضي والحاضر والمستقبل، ويحس ازدياد المنطقة المظلمة في التاريخ ظلاماً في الحاضر. فنموذج ابن يوسف بتكوينه الخبري ذلك، لم يحفظ للأخر نفسه أو عرضه وأرضه. وربما لم يحفظ له ماله وعقله ودينه. وفي الوقت نفسه لم يثبت صحة فقهه وموقفه ومنهجه.

يُستنتج من ذلك أن الخلل والنقص في الخبرات التربوية والشخصية الذي ساد في الماضي له تجلياته ومظاهره القوية في العالم المعاصر أيضاً - عالم الألفية الثالثة. الشاهد على ذلك هو الملاحظات اليومية لطبيعة العلاقات بين المسلم والمسلم، وبين المسلم وغير المسلم، وللتفاعلات السائدة بين جميع البشر، حيث تنعدم المعيارية حيناً وتنعدم المرجعية والحياد القيمي حيناً آخر، وحيث توظف المعرفة المنتجة للصالح الشخصي أو الطائفي أو الحزبي أو القومي أحياناً أخرى دون وجه شرعي.

يرى عثمان (في زين العابدين 1994) أن مثل هذا التوظيف للمعرفة المرجعية يُعدّ عنصراً محركاً للصراع بين البشر، وبالتالي معوقاً لتوافقهم مع مطالب عصرهم ومستقبلهم وتحدياتهما. ذلك لأن لكل مجتمع ثقافة ومرجعيات وحضارة ترتبط بظروفه المحلية طبيعياً وجغرافياً وبيئياً وبشرياً وتاريخياً واقتصادياً، وأن كل مجتمع متفاعل في مكوناته ومتفاعل مع المجتمعات الأخرى المجاورة وغير المجاورة. يرى صالح (في زين العابدين 1994) أن التفاعل بين المجتمعات تنتج عنه أحوال التعايش أو التضاد وأحوال الحرب أو السلام.

3.5.6 لا شك في أن تفاعل المجتمع مع مكوناته ومع مكونات المجتمعات الأخرى لا ينتج تعايشاً إلا إذا توافرت للأشخاص والجماعات القدرة الكافية للاحتفاظ بالتوازن بين ما تتطلبه ظروفهم وحاجاتهم، وما تتطلبه ظروف المجتمعات الأخرى وحاجاتها. فبناء التعايش أو التضاد كما يؤكد صالح هو قرارٌ يعتمد على فكر الإنسان ووعيه وإرادته وعلى الأشياء والأحداث من حوله. ويتفق عويس (في زين العابدين 1994) مع صالح بأنَّ بناء أي حضارة من الحضارات واستمرارها لا يتم إلا بحدوث التكامل والتوازن بين الإنسان والمنهج والأرض، وأن ضياع أي من هذه العناصر أو ضعفها أو تهديدها أو عدم توازنها يهددُ بناء الحضارات وازدهارها واستمرارها. فإن طغت على شخصية الإنسان خبراتُ الجهل أو الزهد أو الاستسلام للاستعباد من الغير فإنها قد تجعله عاجزاً عن تحويل الأرض وإعمارها مما قد يؤدي لاختلال فعله الحضاري التوافقي، وضعف قدرته على توظيف التقنية والعمل الجاد لقيادة التغيير.

4.5.6 إن علاقة العمل بين الإنسان والكون علاقة دائمة. يقول صلى الله عليه وسلم: "إن قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فليغرسها". رواه أحمد في مسنده (ج 3: 191). فالحضارات تُبنى بفعل الإنسان المتحضر ورؤيته. ويهدمها فعلُ الإنسان الكارثي. ففي حديث أبي هريرة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمانٌ لا يدري القائلُ في أيِّ شيءٍ قتلٌ، ولا يدري المقتولُ على أيِّ شيءٍ قُتل". وفي حديث جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض". رواه مسلم - (كتاب الإيمان، الباب 118). ويزيدُ من الآثار السلبية لاختلال الإنسان والعجز عن إعمار الأرض والمحافظة عليها اختلالُ المنهج أو الإفراطُ أو التفريطُ في استخدام المنهج الفكري الذي يوجه سلوك الإنسان ويضبطه.

5.5.6 تُعَدُّ دراسة اللويحق (1999) عن الغلو في الدين في العصر الحاضر إحدى الأمثلة الحية على الإفراط أو التفريط في استخدام المنهج، وعلى خبرات التفاعل المختلفة بين الأشخاص بعضهم بعضاً والجماعات بعضها بعضاً. أشار اللويحق لمجموعةٍ من الأسباب التي توضح الافتقار إلى الخبرات النفسية والتربوية والاجتماعية والتوقعية والدينية التي أدت لنشوء مشكلة الغلو واطرادها وحدها. فقد أوضح اللويحق أن أهم الأسباب النفسية لظهور مشكلة الغلو في الدين تتمثل في عدم وجود فرصٍ للتعبير عن الرأي، وغياب العدالة والمساواة، ولجوء السلطات أحياناً لتعذيب الخصوم واضطهادهم وحرمانهم من حقوقهم. ويرى أن هذه العوامل قد أدت للإحباط واستئثار الدوافع العدوانية، وعدم الاتزان الانفعالي، وسوء التوافق مع النفس والأسرة والمجتمع والعالم المحيط لدى الخصوم. كما أشار اللويحق لعامل الافتقار إلى الخبرة التربوية لدى الأشخاص والجماعات الذين يغالون. فوصفهم بعدم القدرة على الصبر على الأذى والطاعة، وبفقدانهم للأمل في اهتداء الناس وانتصار الإسلام، وفي جدوى التغيير والإصلاح التربوي. وأوضح أيضاً أن البيئة الاجتماعية والتربوية والفكرية السائدة في معظم أنحاء العالم المسلم وغيره قد ساعدت على الافتقار الشديد إلى الخبرات المتكاملة، التي تؤدي للتعايش والسلام بين الأشخاص والجماعات والشعوب في العالم المعاصر. وذكر أن من أهم هذه العوامل البيئية اختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم، واختلال الأوضاع الاقتصادية، والهوة المتزايدة بين الأغنياء والفقراء، وإحياء العشائرية والقبلية، وغياب دور العلماء، والانشقاقات والانقسامات والتخلي عن الثوابت، والهزائم الكبرى، والمناهج الدراسية الضعيفة غير الجذابة والمنفصلة عن الواقع الحياتي، وسيادة ثقافة الراقصين والنجوم والاستهلاك. وذلك بجانب الاستهزاء بالمتدينين واتهامهم بالإرهاب، وشيوع الثقافة التي تشجع الغريزة وتهدم القيم والتقاليد والعادات

والأخلاق والإحساس بالكرامة "كستار أكاديمي واستار كلب و (big brother) وتوظيف الأفلام والسينما والمسرح للسخرية من الدين، كأفلام الإرهابي، والإرهاب والكباب وأخيراً الرسومات والكاريكاتورات عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكتابة الآيات القرآنية على صدور الفتيات العاريات وعلى الأحذية". وإذا تفحص المرء ما ذكره اللويحق من أسباب تبين له أن هذه الأسباب لا تقتصر على نشوء ظاهرة الغلو المفترضة وحدها، وإنما هي تسهم في تشكيل كثير من المشاهد السياسية والاقتصادية والتربوية في كثير من الدول، وإلى تذكية العداء بينها، وإلى تهديد السلام العالمي وفقدان الثقة والاحترام بين الأمم والديانات. أما شيوع ثقافة "فَرَقْ تَسُدْ" وفلسفتها - خاصة إذا نظر المرء لهذا المشهد في بعض الدول- فإن المرء سيلحظ أن من ثمار هذه الثقافة ظاهرة الانقسامات والانشقاقات العديدة في كثير من الأحزاب والطوائف والقبائل والجماعات الدينية. ويرى كثير من المثقفين أن التعدد الثقافي والإثني والاجتماعي والديني - سواءً أكان في السودان أم غيره - لم يجد التعبير الكافي عنه أو الاستيعاب التام له في مختلف السياسات والمناهج التربوية. وقد ترتب عن ذلك غياب العدالة والمساواة واحترام حقوق الغير، وقوة قبضة السلطة الشمولية وتحفيز أجواء الحرب والتضاد.

6.5.6 إن تحليل ظاهرة الغلو وسياسات "فَرَقْ تَسُدْ" وإدارة التعدد في كثير من دول العالم تبين فشل المؤسسات والنظم التربوية في تحقيق أهدافها، التي تمثلت في الانتقال الشديد إلى المهارات والخبرات والأنشطة والبرامج والمناهج الملائمة لبعض هذه الدول لتلبية حاجات مجتمعاتها وقيادة الجهود والرؤى المشتركة فيها لتحقيق التغيير والتوافق المنشود مع قضايا العالم المعاصر وتحدياته كما ذكر خصاونة (1997).

يرى الباحث أن مشهد الانشقاقات والافتتال في العالم المعاصر شبيه بمشهد جماعة ابن يوسف والشافعية الذي سبقت الإشارة إليه. وهو في جوهره مشهد تقليدي للتفاعلات بين الأشخاص والجماعات، تجاوز حقب الماضي التليد إلى الزمن الحاضر ومشارف المستقبل. كما يرى أن المحافظة على هذا الوضع التاريخي لا يؤدي إلا لخسران السباق مع الأمم المعاصرة، وإلى الفشل في إعداد إنسان المستقبل المسلح بالكفايات العلمية والمهنية والنفسية والإنسانية، وبمهارات التفكير الإبداعي والعلمي، والقادر على التعلم الذاتي وتحمل المسؤولية ولعب الدور المناط به في العالم المعاصر.

7.5.6 إن حالة الحنابلة والشافعية إذن - وكما نقلها بطاينة عن ابن الجوزي - هي حالة عصرية أيضاً. وهي حالة بالغة التأثير في الأشخاص والمجتمعات وفي المراحل التاريخية المختلفة. هي حالة، كما يتضح، غير قادرة على استيعاب ثقافة الزمن والتفاعل الإيجابي مع أزماته وحركته الدائمة وثورة اتصالاته. كما أنها حالة خطاب للحاضر والمستقبل بلسان الماضي، يغيب فيها النسق وتتعدم فيها الأسئلة الموضوعية العملية والرؤى والأدوات الحديثة لفهم قضايا العالم المعاصر ومواجهتها بوعي وفعالية وإدراك. وهي علاوة على ذلك - وكما يرى الباحث - حالة نقص خبري تستحكم فيه العيوب الشخصية، فردية كانت أم جمعية. تنشأ فيه لدى الأفراد والجماعات آليات العزو الخاطيء، فلا يرون عيوبهم فينسبون كل مشكلات الأشخاص والجماعات للمؤامرات الخارجية. وبالطبع عندما يكون فهم المشكلة وتحديدها خاطئاً فستكون الحلول خاطئة أيضاً. وكما سبق وأن ذكر، فإن الحالة تعبر عن ضعف تاريخي في مهارة حل المشكلة. قد يؤدي انتقال هذا الضعف للحاضر إلى ضعف النظام الداخلي للبيت، وبالتالي إلى قوة العدو

التي قد تتناسب طرماً مع ضعف نظام البيت. فيصدق قول نزار قباني في ذلك: "لم يدخل اليهود من حدودنا ولكن تسربوا كالنمل من عيوبنا". واستناداً على استمرار حالة الحنابلة والشافعية في تفاصيل المشاهد المعاصرة للمجتمعات، يمكن القول بأن معظم المؤسسات التربوية في بعض الدول هي مؤسسات مأسورة بالتاريخ، منقطعة عن الزمان والمكان والإنسان، ومأسورة بالتقليد. وهي بالتالي مؤسسات عاجزة عن الفعل الحضاري التوافقي.

إن حالة الحنابلة والشافعية، إن طبقت عليها نتائج دراسات مارك (Mark 2002)، سيتضح أنها حالة لا تساعد في تفعيل أداء الفرد النفسي والسلوكي والبين شخصي وبين مجتمعي، وأنها حالة لا تساعد في معرفة الفرد لذاته ومعرفته للآخر، وفي بناء إحساسه المُرضي بالهوية (satisfying sense of identity)، وفي تعزيز مهاراته الاجتماعية وترقية شعوره بقيمة الذات، وزيادة تفاؤله بالمستقبل وبالتالي في تمتعه بالصحة الإيجابية. أكدت دراسات مارك (2002) أن معظم مشكلات الشباب في العالم المعاصر ذات صلة بالصحة الإيجابية وبخبرة الذات الحقيقية (real me) خاصة، وذات صلة بالإحساس بالتحكم، وبفقدان الفرص للتعبير عن الحقوق والذات والفعالية. كما أكدت أن مشكلات الشباب هي الأكثر أهمية في كل المجتمعات، لأن الشباب شريحة غالبية ومؤثرة، ولأن فترة الشباب مرحلة ظهور للمشاعر الدينية، وللحاجة لإثبات الهوية وتحقيق الذات، ولإشباع الحاجات المهنية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية. وهي كذلك مرحلة صراعات وأزمات. والشباب هم الأكثر عاطفية وتأثراً ووعياً ومتابعة، وحماساً لمتابعة حركة المجتمع. تتفاقم مشكلاتهم عند فقدان الدعم الأسري والاجتماعي، وبخاصة في حالة تعرض هذه المصادر للفقر أو اللجوء أو الهجرة أو السجن، أو عند انحسار الأسرة

الممتدة حيث يلجأ الشباب في هذه الحالة للقوى الخارجية بحثاً عن الحلول. فيصبح أكثر الشباب بالتالي من ذوي مركز الضبط الخارجي. فتزيد قابليتهم للاستقطاب والتبعية والخضوع للقوى التي تقدم لهم الحلول. ويؤكد ديفيد - في مارك (المرجع السابق نفسه) - أن الأفراد، الذين تتوفر لديهم فرص المشاركة الكافية وفرص اتخاذ القرار وإشباع الحاجات في مجتمعاتهم وأوطانهم، يكونون أكثر قدرة على التنظيم الانفعالي والتقدير الثابت والمستقر والمتسق للذات. كما يكونون أكثر قدرة على التفاوض والإنجاز العالي والتوافق الإيجابي مع الذات والآخرين على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي، بينما يؤدي غياب هذه الفرص إلى ضعف المخططات المعرفية للأشخاص والجماعات وتشويشها. فيلجأون إلى استخدام التعميمات والمسلمات الخاطئة، وللشك والتوجس وفقدان الثقة في التعامل مع بعضهم البعض، فيبغون ويقتل بعضهم بعضاً لنقص خبراتهم ولخصائصهم الكارثية، وفشل المؤسسات التربوية في مجتمعاتهم في نقل الخبرات الملائمة لبناء شخصياتهم المتوازنة.

8.5.6 إن فقدان مصادر الدعم لتعلم الخبرات الملائمة - كما يتضح من التحليل السابق - قد يضيّق الهوية بين عالم المبادئ وعالم الوقائع، ويحقق ما قاله دستوفسكي: "بأن الفرق بين نيوتن وجاليليو ونابليون وعتاة المجرمين هو فرق في التنشئة وحسن التربية في الأولين وسوءها في الآخرين" (عبدالمجيد 2006). وقد يشير مثل هذا القول إلى إمكانية الارتقاء بشخصية الإنسان والمجتمعات ومنعها من السقوط بين بين، ومنعها من تعلم العجز والاستسلام وفقدان الثقة والهزيمة النفسية حيال قضايا عصرها ومتطلباته، وبخاصة عندما يتلقى الأشخاص وتتلقى المجتمعات المساعدة للحفاظ على شهودها الحضاري، وعلى العيش في حاضرها ومستقبلها وفق منهج مستوعب لمعطيات العصر وحاجاته، ووفق دعم مستمر من أهل العلم

فيما يأتي أسئلة الدراسة

1.7 السؤال الأول: ما الخبرة ومجالاتها وكيفية اكتسابها؟

1.1.7 للخبرة مجموعة من المعاني تتضمن كل جوانب الشخصية. يعني الجانب النفسي التفاعلات الخيرية بين الخبرات السابقة والمثيرات البيئية مما ينتج عنه تكوين مركب خبري أكثر كفاءة في التوافق مع الواقع. أما المعنى الاجتماعي فيتضمن التفاعلات بين الأشخاص والجماعات وتوجيهها لتحقيق أهداف شخصية أو اجتماعية معينة، بينما يعني الجانب العملي والحرفي التمكن من الخبرات التي تتضمنها المهنة. ويتضمن الجانب المعرفي التوقعي الاستفادة من الخبرات السابقة لتوقع المستقبل. يتضمن المعنى الفسيولوجي للخبرة حدوث ارتباطات عصبية جديدة بالمخ والجهاز العصبي السمبتاوي، تجعل الإنسان يدرك ويتذكر ويتخيل ما سبق له تعلمه، ويُقبل على الأداء الإرادي بطريقة أفضل خاصة للأنشطة التي تتعلق بالخبرات التي اكتسبها.

يمكن استثمار الخبرة - كما يقول أسعد- في مجالات عديدة كالمجال التربوي التعليمي والمجال الاجتماعي والصحي والاقتصادي والتكنولوجي وللصالح الشخصي أو العام. ويمكن أن تتطور الخبرة عن طريق التفاعل المستمر والنمو الخبري الناتج عما يتلقاه الفرد أو الجماعة من مؤثرات خبرية كمًا وكيفًا، كما أن كل مرحلة من مراحل العمر وكل حقبة تاريخية تتميز بمستوى خبري معين. وفي ضوء هذا المستوى يتحدد ما ينقص الفرد أو الجماعة من خبرات معينة. ويمكن الحكم على إيجابيتهم في توظيف ما يمتلكونه من خبرات وما يتضمنه توظيفهم لهذه الخبرات من ضبط وتخطيط وتمييز ومبادأة وتنظيم ذاتي للتوافق مع قضايا العصر ومطالبه (أسعد 2000).

يتطلب التطور الخبري الشخصي والجمعي الرؤى والأهداف المستقبلية والسعي لتحقيقها، وألا تكون هناك قفزات خبرية، بل تكون كل خبرة مفرخة من

الخبرات السابقة لها، وأن تكون كل خبرة قابلة للتوظيف في الواقع ومقابلة احتياجاته ومتطلباته، وأن يُبذل في سبيل اكتسابها الجهدُ والمشقةُ الكافية وأن يتوفر الإصرار لبلوغ الغاية الخيرية دون تشاؤم ودون انغلاق يحول دون تخصيص الخبرات و تجديد الأهداف.

2.1.7 يحتاج بناءُ الخبراتِ الحِكمَ الإيجابيَّ على القدرة والأمل في تحقيق المنفعة والأهداف، كما يحتاج المزاجَ السارَّ والروحَ المعنويةَ العالية، وأن يتميز صاحبُ الخبرة بالذكاءات العديدة، وبالأهداف المحددة مسبقاً، وبالرغبة والحماس وبذل الطاقة اللازمة لاكتساب الخبرة وتطويرها.

بالإضافة لتوفر الخصائص الشخصية لا بُد من وجود عوامل بيئية مساعدة مثل الثراء الخيري للبيئة الاجتماعية وتوفر الإمكانيات، بخاصة التقنية، للأفراد والجماعات والوقت الكافي لبذل الجهد، والمجالات الكافية والملائمة لتوظيف الخبرات المكتسبة، والتدعيم والمكافآت والترغيب والتشجيع على اكتساب الخبرات.

إن كل خبرة يكتسبها الفرد تعمل على تطوير شخصيته كما يقول أسعد (2000). يعبر عنها الفرد في المجالات الأدائية المناسبة لها حسب قدرته على إدراك العلاقات بين الأشياء والأشخاص والجماعات، وذلك حسب قدرته على استشراق المستقبل، وتحديد الأولويات، واستثمار الوقت، والعمل على اكتساب خبرات جديدة وصقل القديمة، والإفادة من الإمكانيات المتاحة والمناهج والأساليب الناجعة والجديدة المستلهمة من الواقع والموظفة للسيطرة عليه دون خوف من انتقادات الآخرين وسخريرتهم.

يذكر أسعد مجموعة من الخطوات التي يمر بها اكتساب الخبرة، ويلخصها في الآتي :

(أ) الشعورُ بالحاجة إلى النمو الخيري والوعي بالخبرات الناقصة.

(ب) حماسُ الفرد لسد النقص في خبراته.

- (ج) وضع الأهداف التي تحقق له اكتساب الخبرات الجديدة.
- (د) تحديد الخطوات العملية التي ينبغي اتباعها.
- (هـ) المفاضلة بين الخبرات من حيث الأهم ثم المهم.
- (و) التخلص التدريجي من الأخطاء المصاحبة للأداء أثناء اكتساب الخبرة.

من الوسائل التي تساعد على اكتساب الخبرة الاحتكاك المباشر بموضوع الخبرة، واتخاذ الأدوات والوسائل الملائمة، والافتداء بأصحاب الخبرات المميزة من نماذج حية ورمزية، ومجابهة المصاعب والمشقات.

3.1.7 إن من أهم المعوقات التي تحول دون اكتساب الخبرات المختلفة - كما يرى أسعد - تخلف المؤسسات التربوية والتعليمية عن التطور العلمي والتقني، والتناقض والتضارب بين الإيديولوجيات، وضمور الدافع لاكتساب الخبرات ذات القيمة نسبةً للزيادة المطردة في أعداد السكان، وعدم وضوح الثابت والمتغير في نظام القيم لدى الأفراد والجماعات، وزعزعة القيم المطلقة بصفة خاصة من أجل التوافق مع المجتمع الحديث، وعدم القدرة على رؤية المشترك، والتركيز على الجوانب الخلافية وحدها، وفقدان القدرة على القياس والاستفادة من خبرات الآخرين الناجحة في نفس المواقف، والجمود ونقص الابتكارية.

4.1.7 يتضح مما تقدم أن خبرات التسلط والبغي من قبل الأشخاص والجماعات، بعضها على البعض الآخر، هي خبرات ناقصة تعبر عن إنسان مختل شخصيه، وعن منهج غير مستوعب لسنن الكون ولمعطيات العصر وحاجاته. وبالتالي فإنها تعبر عن عدم التوازن في عناصر بناء الحضارة والتوافق مع العصر في مجملها كما يقول عويس (زين العابدين 1994). والخبرات الناقصة - كما يشير تحليل الكاتب للخبرة ومجالاتها وطرق اكتسابها- لا تؤدي لتطور الشخصية. وبدلاً عن ذلك فإنها يمكن أن تُعتبر

مؤشراً دالاً على الافتقار إلى مجموعة من المهارات والكفايات، ودليلاً على الانقطاع عن الحاضر والمستقبل، وإلى غياب الوعي والحرية وغياب منهج الإقناع والافتناع، وعدم رعاية الحقوق، وشيوع الترهيب للآخر، وتوظيف الخبرات بالصورة التي تقود الأشخاص والمجتمعات إلى التفاعلات المؤدية للانشقاقات والصراع والحرب والتي يصبح معها مشهد الحاضر والمستقبل مشهد المأسور بالتقليد والعاجز عن الضبط والتحكم.

2.7 السؤال الثاني: ما هي عوامل الثبات والتغير في الخبرة؟

1.2.7 يرى معظم الباحثين أن الخبرات النفسية والتربوية والشخصية الإيجابية هي تنزيل لعقائد الأشخاص والمجتمعات وثقافتهم وقيمهم وأخلاقهم في الواقع، وأن من الخبرات ما هو قابل للتغيير والتعديل والتحوير، وأن منها ما هو ثابت لا يتأثر بحركة العصر وتطوره. ويتفق الباحثون والعلماء بأن الخبرات التي لا يطالها التغيير هي التي ترتبط بالأصول، وذات القواسم المشتركة والمنهج الواحد المحدد، والتي تمثل البدايات والمرتكزات التي تتعاقب عليها أجيال كل أمة ما، بينما يمثل المتغير في الخبرة الجانب الذي يرتبط بالقصور ويقبل الاجتهاد في مجالات الحياة المختلفة من أجل التوافق مع قضايا العصر وتقنياته وعلومه ومن أجل جسر الفجوة بين الأجيال شريطة ألا يكون هنالك تعارض بين الثابت والمتغير في الخبرة.

2.2.7 ولا بد لبعض خبرات الأشخاص والمجتمعات من الثبات حتى لا تنتفي أصالة شخصيتها ومقوماتها الأساسية بطغيان المتغير على الثابت. كما أنه لا بد من خضوع بعض الخبرات للتغيير والتحول حتى لا تعيش الأمم في الركود الحضاري بطغيان الثابت على المتغير. فالثبات إذن هو الشهود الحضاري للأمم والأشخاص، بينما التغيير هو بصيرة التوافق ومنهجه مع متطلبات كل عصر وجيل.

يرى مدني (1989) أنه من المهم تحديدُ مواضع الجمود والنقص والقصور في الخبرات النفسية والتربوية في كل زمان ومكان، بالإضافة إلى تحديد طرق تحويلها وتغييرها وإكمالها. وأكد مدني على أن كل الأشخاص والمجتمعات في حاجةٍ لمنهجٍ واعٍ ومبدعٍ لاصطفاء الخبرة وانتقائها، ولتحديد المعايير العقائدية والثقافية والقيمية والأخلاقية والمنطقية للحكم عليها من قبل العلماء والمفكرين والمتقنين. ويرى أيضاً أن المراجعة المستمرة، والتجديد والتغيير في خبرات المجتمعات، ينبغي ألا يكونا رد فعل أو نتيجة للصدمة الحضارية لما يواجه الشعوب والأشخاص من تحديات، بل ينبغي أن تكون المراجعة والتفويض للخبرات عمليةً مستمرةً وواعيةً ومقدرةً، حتى لا تصبح هذه الشعوبُ في حالةٍ غفوةٍ وغفلةٍ تؤدي إلى انحطاطها الثقافي والحضاري، أو إلى تقليدها وتبعيتها التامة لخبرات الآخرين، وفقدانها بالتالي لاستقرارها وصيرورتها التاريخية ومحافظةها على التالد وتميُّزها بالطارف.

يرى كثير من الباحثين أن الانتقاء الأمثل والمثمر للثابت والمتغير يعتمد على إدراك الفروق الزمانية، واختلاف الأوضاع الحضارية، وشروط الصيرورة التاريخية، والاستفادة من خبرات الثابت والمتغير للأجيال السابقة ومن إمكانات وقدرات ومعطيات الحاضر الذاتية والموضوعية والبشرية والطبيعية ومن أهداف المستقبل، ومناخ العدل والحرية والديمقراطية، بعيداً عن فرض الاختيارات والقرارات وقيادة البيروقراطيين والفنيين وممثلي الطوائف والقبائل والجهويات الذين يأتون لممارسة العمل من أجل التوازنات السياسية والاجتماعية (مدني 1989، بالجن 2004).

3.2.7 يستخلص من قناعات بعض الباحثين أن القدرة على الانتقاء العلمي الذي ينبغي أن يقوم به أهل العلم والفكر والثقافة في كل مجتمع، وفي سياقات الحرية والعدالة وكفالة حقوق الغير، هو الذي ينبغي أن يقود كافة السلطات والممارسات السياسية وغيرها في مجتمعات العالم المعاصر. وهو وحده الذي

يمكن أن يجعل الحكم والأمن والتعايش السلمي واقعاً يومياً لكل الأشخاص والمجتمعات.

3.7 السؤال الثالث: ما علاقة الثابت والمتغير في الخبرة

بمهارات المناقشة و الحوار؟

1.3.7 ينبغي أن يعتمد منهج انتقاء الثابت والمتغير في الخبرة في جوهره كما ذكر سابقاً على جهود العلماء والمفكرين والمتقنين، وعلى مناخ العدالة والحريات والتسامح، حتي يصبح من الممكن بلورة رؤى الأطراف وبناء التعايش والسلام داخل القطر الواحد، أو في كل أنحاء العالم، وبين الجيل الواحد أو بين الأجيال، وبين أفراد الطائفة والمذهب والأيدولوجية الواحدة، أو بين الطوائف والمذاهب والإيدولوجيات المختلفة. يرى يالجن (2004) أن ذلك لا يتم بدون التعلم الراسخ لآداب المناقشة والحوار وخبرتهما، حيث يمكن للمتداولين استقصاء الحقائق وتنقية الأفكار والرؤى، للوصول للحلول الموضوعية المرضية والممكنة التنفيذ، دون الوقوع في أزمة الذاتية ومحاولة كل طرف إثبات أحقيته في المسألة أو الموضوع المعين كما كان الحال لجماعة ابن يوسف والشافعية واستمر بعدها إلى الزمن الحاضر. ويُستخلص من يالجن أن غياب مهارات الحوار والمناقشة أو ضعفهما يمكن أن يكون من أهم العوامل المفسرة لنشوء الخلاف والانقسامات والصراعات سواءً أكان ذلك داخل الأسر أو الأحزاب والطوائف، أو حتى بين الأشخاص والدول، وأن كثيراً من الحروب بين الدول والحروب الأهلية الدائرة اليوم داخل مجموعة من الأقطار يزكيها ضعفُ مهارات الحوار والمناقشة، وينهيها الحوار الإيجابي والإرادة الواعية.

يذكر يالجن أن للحوار والمناقشة ثلاثة أسس أساسية هي :

(أ) التكوينُ الشخصي للفرد، الذي يتضمن حالته الروحية والأخلاقية والإنسانية والجمالية والأدبية وحسن نيته.

(ب) تكوين الفرد المنطقي والعلمي والفني والذي يتضمن ذكائه اللغوي وقدراته العقلية والعلمية.

(ج) تكوين الفرد الخلقى الذي يجعله ملتزماً بضوابط الحوار وغاياته مع الصغار والكبار والأفراد والجماعات والأساتذة والعلماء.

2.3.7 يرى الباحث أن ما ذكره يالجن من أسس للحوار والمناقشة قد اهتمت بها أمم عديدة في بناء مواطنها وإعداده، بحسب ذلك أنه أحد عناصر بناء الحضارة بجانب المنهج والأرض. ويلاحظ المتابع لحركة البحث العلمي بالغرب الكمّ الكبير من الدراسات التي بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر، وهدفت لمعرفة تأثير الجوانب الروحية والدينية على أنماط التفكير والشعور والسلوك للشباب. فتمخضت عن إنشاء وحدة أبحاث الخبرات الدينية (Religious Experience Research Unit) في جامعة أكسفورد عام 1969، التي توصلت إلى أهمية التدين في بناء قدرات الأفراد والمجتمعات التوافقية مع أحداث الحياة المتغيرة، وخلصت إلى نتائج عديدة من أهمها، أن الدين يعد مصدراً للحقائق وبناء الوجدان وحل المشكلات، ومصدراً للمعنى والعزاء والخلص من الحيرة الوجدانية ومرجعاً للثقافة والقيم والأخلاق، ومنهجاً للإنسان في إعمار الأرض وبناء الحضارة (انظر عبدالمجيد 2006). وسيأتي الباحث لتحليل هذه النتائج عن أهمية الخبرات الدينية عند تناوله للذكاءات التي يراها خبراتٍ ضروريةً لإعداد إنسان المستقبل.

سمع الباحث من يقول: "إن أردت أن تأكل كل عام فزرع قمحاً، وإن أردت أن تأكل كل خمسة أعوام فزرع شجرةً وإن أردت أن تأكل كل يوم فزرع شاباً". يتفق الباحث مع من سمع، ويرى أن قوة الدول والمجتمعات تعتمد - بعد الله سبحانه وتعالى - على شبابها المزود بالخبرات المتكاملة، وأن الحضارات تزدهر أو تنحط وتنهيار بأفعال الشباب القوي أو الشباب الضعيف.

3.3.7 لقد أهتم بالجن ببناء عناصر القوة في الشباب، فذكر أن أفضل ما يمكن تعليمه للشباب وللأجيال عموماً هو حسن النوايا وحسن الظن. وهي سمات يراها الباحث ضرورية لتنمية الذكاء الانفعالي الذي سيأتي تناوله لاحقاً. ويرى بالجن أن مبدأ المناقشات والمحاورات هو النوايا وحسن الظن التي يسميها الإرادات الداخلية، وأن هذه النوايا إما أن تكون حسنة أو سيئة. وبمقتضاها تكون أفعال الفرد. كما يرى أن النية وحسن الظن يؤثران في الانفعال فينعكس تأثيرهما على حركة الأعضاء، مثل تعابير الوجه، وعلى اختيار الألفاظ الإيجابية ونبرات الصوت التي تحملها، مما يشكل بدوره تغذية راجعة للطرف الآخر. فيشعر بالراحة والانشراح، وينفتح عقله للاستماع وللمشاركة الإيجابية، وتصبح لديه القابلية لتقبل الأفكار والاقتراحات والانتقادات. والعكس يكون عندما تكون بداية الحوار والمناقشة بسوء الظن، لأن البداية الحسنة تؤدي إلى النهاية الحسنة، والبداية السيئة تؤدي إلى النهاية السيئة. لذلك يُنصح في أدب المناقشة والحوار بعدم مقابلة البداية السيئة من طرفٍ ببدايةٍ مثلها من طرفٍ آخر. وهذا ما تعلمه تجربة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مع من أدوه من أهل الطائف. ويقال في الأدب "الرفق بالمسيء عتابٌ".

4.3.7 لفعالية الحوار والمناقشة ينبغي أن يكون هدفهما هو الوصول إلى الحقيقة. لذلك يتجنب المرء الذاتية، والاستخفاف بالطرف الآخر وفرض الرأي، والعدوانية والدفاعية والتعصب والتكبر والتهجم وتصيد الأخطاء والمغالطات، والمقاطعة والمشاكسة وتقديم الأفكار والأحكام والقرارات الارتجالية العاجلة. وينبغي أن تكون البداية بالجوانب الإيجابية والمشاركة، وفي سياقٍ من الحرية وحسن الظن، ورحابة الصدر، والاعتراف بالحق، والتأدب عند الاعتراض والاختلاف، والموضوعية وتقديم الأدلة والبدائل. كما ينبغي أن تكون أساليب الحوار والمناقشة مناسبة للطرف الآخر من حيث الموضوع والوقت والقدرة على الفهم، وأن تكون متدرجة ومنتسلة مثيرة للاستماع والتقبل، وأن يتم

التركيز على الأفكار الأساسية أولاً ثم المساعدة ثانياً، نحو "الاتفاق مثلاً على السلام" أولاً، ثم على "الأفكار المتعلقة بكيفية تطبيق السلام"، فلا يكون الانتقال إلى الموضوع التالي قبل الوصول إلى نتيجة الموضوع الأول. ولا بدّ من كَسْب صداقة الطرف الآخر، والتعرف على مشكلاته وفهمه قبل البدء في إقناعه. ينبغي أن تتضمن مهارات المناقشة والحوار الثقة المتبادلة والقدرة على تنمية الإرادة، والالتزام بالعهود والمواثيق، وتأدية الواجبات في زمانها ومكانها، والمحافظة على النظام، والمؤسسية والمسؤولية وروح المرح والتفؤل والإيجابية، ومعرفة الطرق المنهجية لتعديل الاتجاهات والسلوك.

5.3.7 يرى يالجن إمكانية تعليم خبرات الحوار والمناقشة عن طريق توفر القدوة في كل المؤسسات التربوية، بجانب إتاحة فرص الحوار والمناقشات الكافية والمكافأة على تعلم هذه الخبرات. ويُستتج من رأي يالجن أن توفر القدوة يزيد من وعي الأشخاص والجماعات بثقافتهم وقيمهم وأخلاقهم وعقيدتهم. وبالتالي فإنه يتيح قاعدةً صلبةً لحوار الحضارات وللعيش في تكامل وسلام وانفتاح. وذلك في سياق التلاحق والتعاون والأمن والأمانة والعدل والمصالح المشتركة واحترام خصوصيات الآخرين. فبعدَ بالتالي احتمالات الصراع والحرب بين الجماعات والشعوب. ويرى الباحث أن معظم المناهج، ومفردات المقررات الدراسية وأساليب التنشئة لدى معظم المؤسسات التربوية تخلو تماماً من تعليم هذه المهارات. لذلك فإن معظم الصراعات داخل الحزب والطائفة والقطر يمكن أن تعزى في جانب منها لنقص هذه الخبرات أو غيابها بخاصة لدى المثقفين والنخب، الذين يثيرون الصراعات ويزكونها؛ ليس بسبب ضعفهم الأكاديمي، ولكن بسبب نقص خبراتهم في المجالات الأخرى ذات الصلة. كذلك يمكن للباحث عزو كثير من المشكلات المعاصرة، مثل المشكلات الأسرية، ومشكلات الشباب والمراهقين وظاهرة الغلو والانقسامات واللجوء الداخلي والخارجي، وفقدان الحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والمعنوية،

لنقص هذه الخبرات أو الافتقار التام إليها. كما يرى أن توفر القدوة وفرص المشاركة وإتاحة الأنشطة الحوارية المقرونة بالمكافآت يعد أيضاً مناخاً طيباً لنمو الشخصية القوية بذكائها وفعاليتها ومرونتها وتفاؤلها، وبما تجده من دعم تربوي من محيطها، لأن قوة الشخصية لا يمكن أن تتم بمعزل عن هذه السمات كما يشير علم النفس الإيجابي.

6.3.7 يصف بعضُ الباحثين، مثل المتوكل (2004)، شخصية الراشد من خلال مكونات ثلاثة؛ جسمية وروحية وقلبٌ قائد. ويصف القلبُ القائدُ بأنه منظومة الإدراك المعرفي، والوجدان والانفعالات والنوايا التي تمكن الفرد من الاختيار واتخاذ القرار. وبالطبع فإن للقدوة دوراً أساسياً في تنمية هذا القلب الذي ذكره المتوكل. ولمفهوم المتوكل علاقة أيضاً بما أشار إليه يالجن بأن مبدأ المناقشات والمحاورات هو النوايا وحسن الظن، التي تمثل الإرادات الداخلية والضابط والموجه لسلوك الأشخاص والجماعات. اتفقت هذه الآراء أيضاً مع عويضة (1996) الذي وصف الشخصية من خلال ثلاثة أبعاد متكاملة هي (أ) علاقةُ الشخص بربه، والتي تتمثل في رسوخ القيم وسلامة العقيدة والاعتدال في غير موضع التشدد والقدرة على تنظيم الذات، و(ب) علاقةُ الشخص بنفسه، والتي تتمثل في المحافظة على الجسم من الأوبئة والمخاطر والخمول وتركيز القول والفعل، و(ج) علاقةُ الشخص بالناس، التي تتمثل في الخلق الاجتماعي الطيب والقدرة على إقامة العلاقات الاجتماعية الإيجابية والتشبع بالصفات والأهداف الاجتماعية المشتركة. كما اتفقت مع نتائج دراسة المفدى (1993) لحاجات الشباب في بعض أقطار الوطن العربي، التي احتلت فيها الحاجة لرضا الوالدين المرتبة الأولى، أعقبها الحاجة للطمأنينة الروحية، واحتلت المدرسة المصدرَ الأولَ لإشباع الحاجات كمؤسسة رسمية للتشئة بجانب الأسرة والأصدقاء ودور العبادة.

تُفضي معظم النتائج التي توصلت إليها حركة البحث العلمي - كما يرى الباحث - إلى أهمية دور الخبرات النفسية والتربوية، فرديةً كانت أم جمعيّةً، في بناء إنسان المستقبل. وتشير هذه النتائج أيضاً إلى أن تعلم هذه الخبرات يُعد من العوامل الأهم في تحقيق التوافق الإيجابي للأشخاص والجماعات مع قضايا العالم المعاصر وتحدياته، وأن هذا التعلم قد لا يتم دون الانتقال بالمؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية، الذاتية والغيرية - والتي توفر القدوة وفرص المشاركة والمكافأة - إلى رحاب المستقبل. وذلك مما يتطلب البحث في مواصفات هذه المؤسسات التربوية المستقبلية المفترضة وخصائصها المناط بها إعداد إنسان المستقبل وتهيئة مناخات تعايشه وأمنه وسلامه مع نفسه ومع الآخرين ومع الكوكب الأرضي الذي يعيش فيه.

4.7 السؤال الرابع: ما هي مواصفات وأهداف مؤسسات المستقبل التربوية

الناقلة للخبرات النفسية والتربوية الملائمة؟

1.4.7 من غير المحتمل ألا يتفق المتخصصون في مجال التربية وعلم النفس بأن من أهم الغايات التربوية لأي مجتمع هي الوعي بمتطلبات العصر وقضاياه وتحدياته، والتخطيط وتنظيم الموارد وتنميتها وتوظيفها وفقاً لذلك. يرى الباحث في ضوء ما تقدم أن أهم العناصر التي ينبغي أن تتضمنها خطة المستقبل هي صناعة الإدارة والقيادة التربوية المؤهلة لتأسيس مؤسسات المستقبل، وتحديث مناهجها ومصادر وتقنيات تعليمها وأنشطتها وطرق تدريسها المهمة ببناء الروابط القوية مع المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي. وذلك حتى يتسنى لها مواكبة تطور العصر وما يفرضه من تحديات، بمخرجاتها من الأشخاص والجماعات، الذين تعدهم بالمهارات المعرفية ومهارات التفكير العلمي والإبداعي والابتكاري وأسلوب التعليم الذاتي المستديم، وتعزز فيهم روح المسؤولية والمواطنة والتمسك بالهوية الثقافية.

2.4.7 يرى الحارثي (2006) أنه لا سبيل لمدارس المستقبل ومؤسساته إلا الخطة الواضحة الحديثة والأنشطة والمناهج والطرق المناسبة لفهم قضايا وحاجات

العصر ومقابلتها بإيجابية وفعالية. أي إن إنشاء مؤسسات المستقبل هو أحد عوامل التوافق الأساسية مع قضايا العصر وتحدياته. ويتفق الباحث مع الحارثي، بل يذهب إلى تفصيل أكثر لما ذكره عن الخطة الواضحة، فيرى أن أحوج ما يكون لهذه الخطة هي المجتمعات المتعددة الثقافات، التي تفتقر برامجهما وخُططها المؤسسية إلى خبرات عديدة. فمن أهم ما تفتقره هو مناهج الاصطفاء الموضوعية لانتقاء الثابت والمتغير من خبرات شعوبها، ومناخات العدالة والمساواة والمشاركة ومراعاة حقوق وكرامة الإنسان، والالتزام بالمواطنة والمسئولية والتمسك بالهوية الثقافية وامتلاك مهارات الحوار والمناقشة والذكاءات المتكاملة. ولكي يتسنى لهذه المجتمعات بناءً خطتها لمقابلة مطالب العصر وتحدياته، ينبغي عليها أولاً معالجة أزمة الثقة بين أفرادها وتوفير فرص العمل والمشاركة المتكافئة لهم، ومساعدتهم على الاختيار واتخاذ القرار وحلّ التعارض القائم دائماً بين حاجات ومطالب المركز والهوامش التي تعيش فيها بعض هذه المجتمعات، حتى توجد البيئة المواتية أولاً لبرامج العمل المشتركة وتُتجاوز حالة جماعة ابن يوسف والشافعية، ويُعدّ الإنسان المتكاملُ الذكاء والقادرُ على الفعل الحضاري، ويُرسى الجامعُ للأشخاص والمجتمعات.

8. مؤسسات المستقبل والذكاءات المتكاملة

شاع استخدام الذكاء العام أو الذكاء المعرفي في أدبيات علم النفس. وليس الباحث هنا بصدد الاهتمام المفصل بمسألة الذكاء، ولكنه سيستخدم مجموعة من المفاهيم التي استُخدمت حديثاً لخدمة موضوع الدراسة فيما يتصل بتنمية جوانب النقص الخبري والتي يرى أن إكمالها قد يسهم في زيادة التوافق الفردي والجماعي مع قضايا العالم المعاصر وتحدياته، وسيتناول بناءً على ذلك الذكاء الاجتماعي والانفعالي واللغوي والفكاهي.

1.8 الذكاء الاجتماعي

تتمثل علاقةُ الذكاء الاجتماعي بقوة الشخصية وفعاليتها في حكمة الفاروق رضي الله عنه: "أعقلُ الناسُ أَعذرهم للناس". ويمكن أن يُستخلص من هذه الحكمة - كما يرى الباحث - تشخيصٌ لقدرة الشخصية على التواصل وبناء العلاقات الإيجابية المتعاطفة والمتفهمة مع الآخرين، وعلى الفهم الأفضل للذات الفردية والجمعية وللأحداث المحيطة والعالم المعاصر، وبالتالي ما يترتب عن ذلك من امتلاك للقدرات على الإدراك من خلال وجهة النظر الأخرى، وعلى بناء الثقة وحسن الظن، وعلى التحليل الاجتماعي وحل المشكلات. وكما يتضح، فهو ذكاءٌ يجعل صاحبه ديمقراطياً وشورياً ومفاوضاً قادراً على قراءة الموقف من كل جوانبه، أو كما يقول ألبريخت: "هو قدرة الفرد على أن يضع نفسه مكان الآخر ويحس بإحساسه ويدرك بإدراكه ويتصرف حياله في ضوء ذلك". يرى الباحث أن توفر مثل هذه القدرات يجعل الفرد والمجتمع يتسمون بالشفافية والتجرد والصدق، ويمتلكون المهارات الكافية لمنع وقوع النزاعات، وعلى فضها عند وقوعها. وهو ذكاء يمكن أن يكون مصدراً لإشباع حاجات الآخر للانتماء والتقدير والقبول والاعتراف والثقة والمحبة وتحقيق الذات والتوافق الاجتماعي. وهي حاجات فطرية ومطالب عصرية ملحة لكل فئات المجتمعات المختلفة. وهي كذلك حاجات أساسية لتحقيق الأمن والسلام والتعايش ومراعاة حقوق الغير، والتكامل بين الأشخاص والمجتمعات. لذلك قد يجوز القول بأن أنشطة مؤسسات المستقبل ومناهجها يمكن أن توجه لتنمية هذا الذكاء إن توفرت الحرية والعدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة، وتم توظيف النشاط الفني والمسرحي والرياضي والفلكلوري والثقافي بالصورة المناسبة.

2.8 الذكاء الانفعالي

الذكاء الانفعالي هو الوعي بالذات؛ أي "إدراك الذات بصورة صحيحة". ويتضمن الحماس والمثابرة وفهم الانفعالات الذاتية وتنظيمها والتحكم فيها لتتسجم مع انفعالات الآخرين وتتوافق معها ومع أحداث الحياة المتغيرة. ويرى ألبريخت أن مكونات الذكاء الانفعالي تشمل على:

- (أ) المعرفة الانفعالية؛ ويعني بها قدرة الفرد على مراقبة وملاحظة وإدراك انفعالاته وأفكاره ومعرفة العلاقة بينهما.
- (ب) تنظيم الانفعالات؛ ويتمثل في قدرة الفرد على التحكم في انفعالاته وتوجيهها لاتخاذ قراراته وتحقيق أهدافه.
- (ج) التعاطف؛ وهو إدراك الفرد لانفعالات الآخرين والتناغم معها وجدانياً.
- (د) التواصل، وهو القدرة على بناء جسور الثقة مع الآخرين والتأثير الإيجابي المتبادل، ومنع الصراعات وإدارتها بحكمة وفعالية.

ويُستنتج مما تقدم ضرورة اهتمام مؤسسات المستقبل بتنمية خبرات التعقل والتحسس والتفكير بجانب اهتمامها بالذكاء المعرفي العام، ذلك لأن هذه الخبرات قد تلعب دوراً أساسياً في زيادة توافق الأشخاص والجماعات مع أزمات العصر، وتقليل الإحباطات اليومية الناتجة عن عدم تحقق الأهداف، ورسم الابتسامة على وجوه الناس دائمة العبوس في كثير من البلدان القريبة من الغضب والاندفاع وخطل التمحيص والتفكير والروية والتدبر، خاصة وأن معظم الشعوب تصنّف المسلمين والعرب بأنهم يتصرفون برودة الفعل وبأنهم انفعاليون وعاطفيون. لذلك فإنهم دائماً ما يضعونهم أمام مواقف استفزازية فيستجيبون لها دون منطق ودون تحليل ودراسة وتفكير وتمحيص. فيقعون في شرك خوض حروب غير مستعدين لخوضها، والتورط في اتخاذ قرارات لم يحن وقتها، أو التسرع في عمل يدفعون ثمناً كبيراً جداً للتخلص من آثاره السالبة.

3.8 الذكاء اللغوي

تُعتبر اللغة اللفظية وغير اللفظية أداة الاتصال الأساسية وأحد عناصر التفاعل بين الجماعات المختلفة في عالمنا المعاصر. فهي إما أن تكون عاملاً لنمو الجماعات وإما أن تكون عاملاً لنشوء المشكلات الاجتماعية والسياسية والنفسية، لأنها تصنع داخل الآخر النوايا والأفكار والاتجاهات والمشاعر الإيجابية أو السلبية. ويرى بلال (2002) أن الاتصال الفعال مع الآخر يعتمد على اللغة الملائمة

الاتصال المؤثرة، ووظف التقنيات الحديثة للتأثير باللغة المكتوبة والحسية والمسموعة والمرسومة حتى تحوّل كثير من الأفراد والجماعات إلى ردود أفعال لمثيرات هذا الاتصال المباشر وخشي البعض الآخر أن تفقد بعض المجتمعات حقيقتها وإنسانيتها ومنهجها، ومن ثم أرضها بفعل الاتصال المعاصر المتدفق من أعلى لأسفل، ومن الأكثر قوةً معلوماتياً واقتصادياً وعسكرياً لأدناها. ويرى الباحث أن جميع هذه المخاوف موضوعية، تعبر عن بعض تحديات العالم المعاصر في هذا المجال، وأنها ستكون عاملاً من عوامل عدم التوافق للأشخاص والمجتمعات. وذلك ما لم تهتم المجتمعات الضعيفة والمتعددة الثقافات بفتح القنوات للاستماع للصوت الآخر، ولإتاحة حرية التعبير وإيضاح الفروض الخاصة بالهوية، والاهتمام بالتنظيم والمؤسسية والتخطيط ووضوح الأفكار والبرامج والألفاظ والمعاني الإيجابية، وما لم تهتم كذلك باللهجات والفنون والفلكلور والعادات والقيم لكل الفئات حتى تنتهي سلطة وسائل اتصال المركز المنعزل عن أجزائه وتتنفي ثقافة الخوف الناتجة من عدم معرفة لغة القوم، وما لم يتم بناء خبرة الذكاء اللغوي واكتمالها للأفراد والجماعات.

4.8 الذكاء الفكاهي

1.4.8 يُعد صنع المفارقة الضاحكة أحد العوامل لجسر هوة القلق والخوف والتوتر وأزمة الثقة بين الأشخاص والجماعات وبيتّ البيهة والسرور والجو الودي والتفاؤل بينهم. ويرى بلال (2002) أن الفكاهة الملائمة للسياق تقلل من الاتجاهات السلبية والعداوية بين الأشخاص والجماعات، وتزيد من جاذبيتهم لبعضهم، وترفع بالتالي من مستوى العلاقات والتفاعل بينهم مما يعد مؤشراً لزيادة القابلية لقبول حقوق الآخر وأطروحاته، ومراعاة كرامته. وقد يؤدي هذا الوضع إلى سهولة حل المشكلات وفض النزاعات بين الأطراف المختلفة. ويرى بلال أن الذكاء الفكاهي يحتاج إلى القدرة الإبداعية، وسرعة البديهة، وحسّ المرح، ومعرفة حاجات الآخرين ودوافعهم واتجاهاتهم، ولغاتهم

ولهجاتهم ودلالاتها، ومعرفة استجاباتهم الفكاهية، بجانب معرفة نواحي النقص في الذات والآخرين والتمتع بالطلاقة اللغوية.

ويؤكد بلال أن الذكاء الفكاهي يزيد من قدرات التوافق مع تحديات العالم المعاصر لأنه:

- (أ) يكفّ الشكّ والكراهية ويبرز الجانب المضحك من المشكلة المعيّنة. فيخفف من وطأتها وحجمها ووزنها. وبالتالي فإما أن تتبدد المشكلة من تلقاء نفسها أو يصل الأطراف فيها إلى اتفاق ومعالجة بسهولة ويسر نتيجة الجو الودي السائد.
- (ب) يقلل الحساسية ومشاعر الغضب والكراهية بين الأطراف، ويشيع مشاعر الأمن والطمأنينة، نتيجة لوجود الابتسامة مكان التكشيرة وللكف المتبادل بين التوتر والاسترخاء الذي تؤدي إليه الفكاهة.
- (ج) يزيد من جاذبية الشخص الفكاهي وجاذبية أطروحته، لميل العقل الإنساني للربط والتعميم. فيتم الربط بين شخصية الطرف أو الشخص الفكاهي وأطروحته وبين قدراته على التلميح والنكته وسرعة البديهة.
- (د) يبدد الملل ويحسن الاتجاهات، ويزيد من الإقناع والإقناع والتقارب والألفة والحميمية، ويكسر المقاومة والتحفظ، ويسهل تعلم المبادئ والحقائق الجديدة والتعايش والتوافق مع جوانب الاختلاف الديني والإثني والقبلي والثقافي والاجتماعي والسياسي.

2.4.8 يرى الباحث أن تنمية خبرة الذكاء الفكاهي ينبغي أن تكون مشروطة بأن يكون هذا الذكاء إيجابياً. فلا تتجه الفكاهة اتجاهاً مؤذياً، فتكون متنفساً للدوافع الهجومية أو العدوانية التي يوظفها البعض ليعبر عن مكبوتاته من حقد وكراهية وحسد أو غيرة. وكذلك لكي يكون الذكاء الفكاهي أحد عوامل التوافق الإيجابي. ينبغي ألا توظف الفكاهة لإثبات قوة طرف على الآخر أو للتمييز الإثني والقبلي والاجتماعي والسياسي والقومي، أو للتعريض بأصول الآخرين

ومعاييرهم وخصائصهم وإخفاقاتهم. كما ينبغي ألا تكون الفكاهة وسيلة لاسترضاء الآخرين والحصول على إعجابهم، وألا تكون مكررة مفنكرة للجدّة والحداثة والبنية المبدعة والسياق الملائم، وألا تتعارض مع القيم والأخلاق والأدب واللياقة والثقافة السائدة.

9. مؤسسات المستقبل والفعالية الذاتية والجمعية

1.9 الفعالية الذاتية

1.1.9 يؤكد باندورا (Bandura 1999) أن الناس عموماً يسعون لتحقيق التحكم في الأحداث التي تؤثر على حياتهم، وأن تحقيقهم للتحكم وبلوغ الأهداف يمثل بدوره حافزاً لهم لممارسة التحكم وحل مشكلات الحياة، بينما ينتج عن عدم القدرة على التحكم الشعور بالتوتر والإحباط واللامبالاة واليأس. ذلك لأن معتقدات الفرد في فعاليته - كما يرى - تؤثر على طريقة تفكيره وشعوره ودافعيته وعلى سلوكه وتحكمه في الأحداث من حوله. ويسمي باندورا معتقدات الفرد في قدرته على التحكم بالتحكم المدرك (perceived control) أو بنظام معتقدات الفعالية الذاتية (self-efficacy belief system)، والتي تعكس معتقدات الفرد في قدرته على تنظيم سلوكه لإدارة المواقف والأحداث المختلفة.

يستنتج من مفاهيم باندورا أن معتقدات الفرد وأحكامه الإيجابية عن قدراته يمكن أن تعلم عن طريق توفير المؤسسات التربوية لخبرات النجاح والإتقان والتحكم (mastery experiences)، لأن خبرة النجاح تنمي فكرة القدرة الذاتية أو معتقدها، بينما تقلصها فكرة الفشل خاصة الذي يأتي قبل النجاح. وخبرة النجاح، كما يرى باندورا، تؤدي لاكتساب الفرد الأدوات المعرفية والوجدانية والسلوكية وأدوات تنظيم الذات التي تمكنه من ممارسة السلوك الملائم والمتوافق لإدارة أي مستجدات في أحداث الحياة المتغيرة، خاصة خبرة النجاح التي تأتي بعد التعب والمشقة وبذل الجهد والمثابرة. ذلك

لأن النجاح السهل يجعل صاحبه يتوقع دائماً النتائج الإيجابية السريعة لأفعاله دونما جهد، ويكون عرضة للإحباط والاستسلام عند مواجهة الفشل والصعوبات مهما صغرت، فتضعف همته وعزمته.

2.1.9 يمكن أن تعلم مؤسسات المستقبل التربوية خبرات النجاح ومعتقدات التحكم الذاتي من خلال القدوة أيضاً، كما يرى بعض الباحثين؛ أي من خلال إتاحة فرص الملاحظة والتقليد والتأثر بالنماذج الناجحة والمبدعة والبالغة دوماً للجهد، والقادرة على حل المشكلات. ويرى باندورا أن من العوامل المهمة في تنمية الإحساس بالتحكم (sense of control) لدى الأفراد والجماعات، هو أسلوبُ الإقناع الاجتماعي (social persuasion)؛ أي الإيحاء الدائم لهم بأنهم يملكون ما يحتاجه النجاح والإتقان من قدرات، لأن ذلك يجعلهم يحاولون المرة تلو الأخرى حتى يبلغوا أهدافهم مهما صعبت. ذلك بينما يتجنب الذين يعتقدون، أو يقنعون، بأنهم لا يملكون القدرة معظم الأحداث والأنشطة والمواقف، ويتخلون عن المثابرة وبذل الجهد واستثمار الطاقة الكامنة لديهم وتحقيق الأهداف. فيستسلمون بالتالي وبسهولة لكل موقف جديد وصعب في الحياة.

3.1.9 إذن يُستخلص بأن مؤسسات المستقبل الفاعلة هي التي توفر الدعم وثقافة التفاؤل والتحفيز الكافي والبيئة والمناخ لتمكين الأفراد والجماعات من تحقيق النجاح والأهداف، وتجنبيهم التعرض الدائم للضغوط والفشل. وذلك بينما يجد المرء أن بيئات الفقر، والمرض والخوف والحرمان والقهر والظلم وقلة فرص المشاركة والعمل وعدم رعاية الحقوق وبيئات الحروب والإذلال والمهانة، قد تؤثر في أحكام الأفراد والمجتمعات على فعاليتها وقدرتها. لذلك فإن هذه الخبرات البيئية السالبة، التي تفرضها مثل هذه البيئات، وغالباً ما تؤدي إلى الشعور بالعجز والاستسلام حيال تحديات العصر ومطالبه، وإلى ضعف الانتماء للثقافة والوطن والبحث المستمر عن الحلول الخارجية مهما كان

الثن. ولا يخفى على الراصد للتحويلات في عالمنا المعاصر ما تشهده الأسرة من تغيرات، من أسرة ممتدة وأخلاقية وأبوية لأسرة نووية أو ذات عائل واحد ولأسرة الأم العاملة للضرورة. تبرز فيها الحاجة لمتابعة حاجات الأبناء وحمائتها ورعايتها وإشباعها، وينشأ التعارض بين الدافع لتحقيق الذات والإنجاز في المهنة وفي المنزل، وينشأ صراع الأدوار والحاجة لتدبير أكثر من موقف في وقت واحد مما قد يزيد من عبء المؤسسات التربوية غير الرسمية في تنمية الفعالية الذاتية للأشخاص والمجتمعات.

4.1.9 يتضح مما تقدم أن التوافق مع قضايا العالم المعاصر وتحدياته يحتاج، أول ما يحتاج إليه لأصحاب الأحكام والمعتقدات الإيجابية في قدراتهم، والذين يضعون الأهداف المناسبة لحياتهم ويلتزمون بها. ويملكون التفكير المنظم والتفاؤل والإيجابية، ويجدون الدعم الأسري والاجتماعي والرسمي والمناخ الملائم للتعبير عن إمكاناتهم وقدراتهم الكامنة. وتأسيساً على ذلك فإن الباحث يرى أن أهم أدوار مدارس المستقبل ومؤسساته لتنمية الفعالية الذاتية يمكن أن تلخص في الآتي:

- (أ) تعليم الأشخاص والمجتمعات المهارات الملائمة لحاجات العصر، وترقية نموهم النفسي والمهني.
- (ب) تنمية الذكاء المعاصر المتكامل لإعداد الأشخاص والجماعات وبناء قدراتهم على التوجيه الذاتي في مسيرة الحياة الطويلة.
- (ج) مساعدة الأفراد والجماعات على تبني أسلوب الحياة الصحيح وعلى الاختيار السليم.
- (د) مساعدة الأفراد والجماعات على التحكم في العادات والسلوكيات غير السوية.
- (هـ) تنمية مهارات تنظيم الذات والضبط والتحكم الذاتي للأفراد والجماعات.

2.9 الفعالية الجمعية

1.2.9 لا تقل أهميةً الفعالية الجمعية والتوجه الجماعي عن الفعالية الذاتية أو التوجه الذاتي في تنمية قدرات التوافق للأشخاص والمجتمعات مع متطلبات العالم المعاصر وتحدياته. يعني باندورا بالفعالية الجمعية (collective efficacy) اعتقاد الناس في قدراتهم المشتركة وفي إمكاناتهم في وضع أجندة مشتركة، وفي تحديد مصادر الدعم للعمل الجماعي، وفي وضع الاستراتيجيات الفعالة وتطبيقها على الواقع وفي مواجهة ما يعترضهم من معوقات وفي قدرتهم على المتابعة والتقييم المستمر. أي أن فعالية الجماعة وقدرتها على التنظيم والخلق والعمل المشترك وإدارة الأحداث وحل المشكلات، تحدد مدى تأثيرها في مجريات حياتها وقضاياها المعاصرة. ويرى أنه كلما كان الاعتقاد قوياً وإيجاباً كان الناس أكثر نشاطاً وجهداً وتأثيراً في عالمهم ومستقبلهم، وكلما كان الاعتقاد في القدرة ضعيفاً، وأكثر استسلاماً لأنظمتهم وعاداتهم وقضاياهم المعاصرة، وكان الناس أقل جهداً ومثابرة في مواجهة أحداث الحياة.

2.2.9 إن المشاهدة والاستماع والقراءة اليومية لما يدور من أحداث في العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان وغيرها من الدول - كما يرى الباحث - يعكس قدراً كبيراً من العجز والاستسلام وفقدان القدرة (collective powerlessness) وفقدان الثقة الجمعية المتبادل، كما يمثل، أيضاً، نقصاً كبيراً في الفعالية الجمعية، ويرفع مطلباً أساسياً للحلول الشاملة لمشكلات الإنسان العصرية. ويرى الباحث أن هذه المشاهد توفر البيانات الأكثر دقةً وصدقاً ودلالةً في عالمنا المعاصر على نقص الخبرات في الفهم المشترك للمشكلات، وفي وضع الأهداف المشتركة وفي بذل الجهود والحلول المشتركة لصياغة عالم المستقبل، عالم التعايش والأمن والسلام العادل لكل الأشخاص والمجتمعات. ويرى الباحث أن بناء الفعالية الجمعية يحتاج الجهد الذكي المتكامل لاستثمار الفرص الإيجابية التي تتيحها العولمة، وبتيحها التعدد الثقافي والاجتماعي والإثني والعرقى والديني على الكوكب الأرضي، بدلاً من تغذية التعدد بلغة

الشك ومشاعر العداة وإقصاء الآخر ومحاولة التأكيد على التفوق عليه و
إذلاله.

وبجانب الحاجة للفعالية الجمعية، فإن استنتاجات الدراسة تشير إلى
الحاجة إلى منهج وقائي تربوي يمكن أن يجنب الحياة المعاصرة حدوث كثير
من الأسباب التي تؤدي إلى الكوارث اليومية المعاصرة في كل مكان من
العالم. فإذا نظر المرء لحالة جماعة ابن يوسف لوجدها تمثل حالة ماضوية
معاصرة، ونموذجاً تربوياً يمكن للباحث أن يتخذه نظرية متكاملة لتفسير كثير
مما يحدث من مشكلات سواءً أكانت مشكلات طفولة أو مراهقة، أم مشكلات
شباب أو شيوخ أم مشكلات أسرية أو اجتماعية، أم مشكلات سياسية أو
اقتصادية أو دينية أو قطرية أو إقليمية أو عالمية. وهو نموذج يصلح أيضاً،
كما يرى الباحث، لتفسير كثير من الهزائم بدءاً من الهزيمة النفسية للذات إلى
الهزيمة الثقافية والحضارية، وهزيمة الأمة أو المجتمع. وإذا نظر المرء إلى
نموذج جماعة ابن يوسف في ضوء المتغيرات التي تناولتها الدراسة - وهي
انتقاء الثابت والمتغير في الخبرة من خلال التزام أدب المناقشة والحوار
وتوظيف الذكاءات المتكاملة والفعالية الذاتية والجمعية - يتضح له ضعف
البناء الخبري للجماعة المعاصرة أيضاً وعياً وضبطاً، وبخاصة في الجانب
المعرفي التوقعي للخبرة، والذي جعل الأشخاص والجماعات يتصرفون حيال
بعضهم البعض بصورة لم تتم الاستفادة فيها من الخبرات التاريخية السابقة
كما لم يُستفد فيها من القدرات التنبؤية وتوقع المستقبل.

3.2.9 يُستخلص من تحليل نموذج جماعة ابن يوسف، ومن تحليل المشاهد اليومية
للصراعات في العالم المعاصر، أهمية تنمية الوعي للفرد والجماعة بالبناء
الخبري المتكامل، ومعرفة ما فيه من قصور وقوة، ووضع الاستراتيجيات
والأساليب التي تساعد على معالجة القصور، وتعزيز القوة منذ وقت مبكر
حتى لا يعوق النقص في تعلم الخبرات الملائمة تكوين ونمو وتطور المركب

الخبري الأكثر كفاءة للفرد والمجتمع وذلك لئلا يؤدي النقص الخبري - في أي من جوانبه - إلى تضيق الهوية بين عالم المبادئ وعالم الوقائع في سلوك الأفراد والجماعات، أو لتعلم الهزيمة النفسية الفردية أو الجماعية، ولئلا يمنع النقص والقصور الخبري ارتقاء شخصية الأفراد والمجتمعات ومحافظةها على شهودها الحضاري وعيشها في حاضرها ومستقبلها. ويرى الباحث أن نموذج جماعة ابن يوسف نموذج غير ملائم لواقعه الثقافي والعقائدي والتاريخي، مثلما أنه غير ملائم بالطبع للحاضر والمستقبل. لذا ينبغي الوعي به كحالة نفسية واجتماعية وسياسية وفكرية مختلفة تستوجب التصويب المتكامل بإعمال البصيرة الانتقائية للثابت والمتغير، وبتوظيف مهارات المناقشة والحوار والذكاءات المتكاملة والفعالية الذاتية والجماعية.

إن الفرض الأساسي الذي تقوم عليه نتائج هذه الدراسة هو ضرورة أن تميّز كل مرحلة من المراحل، وكل دور من الأدوار، وكل حقبة من الحقب التاريخية بمستوي خبري معين. يتغير التميّز ويتحول عن طريق التفاعل المستمر ومنهج الاصطفاء الواعي للثابت والمتغير، ليحقق النمو الخبري المتكامل كمّاً وكيفاً، وليمكن استثماره في كل المجالات الحياتية التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والفكرية والتكنولوجية والاقتصادية والصحية، سواءً أكان ذلك للصالح الخاص المشروع أم للصالح العام. وذلك لتتحقق الصيرورة التاريخية للأفراد والجماعات وتستمر لغّة الحوار بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتستكمل الرؤية الشمولية في قراءة الواقع المعاصر دون أخطاء في حق الفرد أو المجتمع.

4.2.9 إن معرفة النقص الخبري للفرد أو الجماعة وتنمية الدافع لضبطه ومعالجته يعد من أولى خطوات البرنامج النفسي والتربوي الوقائي والإنمائي والعلاجي في نظر الباحث. يتفق الباحث في ذلك مع أسعد (2000) الذي يرى أن من المهم لنمو كل فرد وتطوره الوعي بخبراته الناقصة والإحساس بالحاجة

إلى إنمائها، ووضع الأهداف التي تحقق نموها، وتحديد الخطوات التي تحقق تلك الأهداف، وتحديد الخبرات التي يود تعلمها وإنماءها من حيث الأولويات - أي الأهم ثم المهم - مع التصحيح المتدرج للأخطاء المصاحبة للأداء. يعتبر الباحثُ الوعيَ الذاتيَّ والجمعيَّ وتصويبَ المضمون الذاتيَّ والجمعيَّ ببصيرة الثابت والمتغيّر من الأمور الأساسية للتنظيم الذاتي - الفردي والجمعي - الذي يمكّن كلاً من الفرد والمجتمع من العيش في عالمه بوعي ومعرفة وفهم وقدرة على اختيار الاستراتيجيات والأساليب المناسبة لأي موقف وعلى التصحيح المستمر لما يصاحب عيشه من أخطاء، وعلى تجاوز أزمة الخلاف على الفروع وفتح كل الثغرات المؤدية إلى الهزائم العسكرية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية.

إن الباحث يرى أن خبرة الوعي من الخبرات الضرورية التي ينبغي أن تُستدّج في الشخصية منذ تشكلها السني المبكر في الخمس السنوات الأولى وحتى شيخوختها سواءً أكان ذلك عن طريق مؤسسات التربية الرسمية أو غير الرسمية، الذاتية أو الغيرية. ويستخلص الباحث من خبراته الشخصية - والتي يمكن أن تكون حالة مشتركة لعدد دال من الأفراد في إطار تعلم الفرد الذاتي في مسيرة الحياة (self-directed life-long learner) - أن الوعي و تعلم الضبط الخيري الذاتي والجمعي أمر ممكن نظرياً وتطبيقياً. وهو أمر عمل من أجله كافة المفكرين والفلاسفة والعلماء على مختلف معتقداتهم وبيئاتهم، ومنذ كونفوشيوس وسقراط وديوي إلى حسن البنا ومحمد إقبال ومالك بن نبي. تأسيساً على ما توصل إليه الباحث في هذه الدراسة فإن النتائج توضح إمكانية الاستخدام السهل لنموذج جماعة ابن يوسف والشافعية كنموذج تفسيري لأي مشكلة من المشكلات المعاصرة مهما كانت طبيعتها وحدثها وحجمها، ومهما كانت طبيعة السياق الذي حدثت فيه، وبغض النظر عن نوع وطبيعة الطرف أو الأطراف المتأثرين أو المؤثرين في حدوثها. ويمكن أن

يفيد هذا النموذج التفسيري كلاً من يريد زيادة وعيه بالمنشأ الخبري للمشكلات المختلفة بدءاً من تلك التي تحدث على المستوى الشخصي وانتهاءً بالمشكلات العالمية المعاصرة. وهو بذلك ضرورة فكرية لتفسير المشكلات ووضع الخطط والأهداف لحلها ومتابعتها وتقويمها سواءً أكان ذلك للمربي أم الإعلامي أم السياسي أم الزوج أم الباحث. ويمكن استخدام النموذج من أجل التعرف على أمور عديدة، أهمها ثلاثة أمور أساسية هي:

(أ) معرفة ما إذا كانت المشكلة أو القضية المعينة قيد النظر والبحث قد نشأت نتيجة لعوامل أساسية أم فرعية؛ ما إذا كان الاختلاف مثلاً في القضية المعينة بسبب الأصول أم الفروع، أم كان الاختلاف في الوسائل والأفكار الأساسية لحل المشكلة أم في الاتفاق على الأمور التي تأتي بعد الأمر الأساسي؟ هل هي في الأهداف السامية والمهمة أم في الأهداف الأقل سمواً وأهمية. وهل هي في الأولويات أم فيما دونها؟ هل هي بسبب عوامل ذاتية أم كانت بسبب عوامل موضوعية ومنطقية؟ شخصية أم عامة؟

(ب) معرفة النقص الخبري المعين الذي يكون قد هياً طرفاً أو أطرافاً معينة ونمى لديها القابلية للأداء المشكل في أي سياق من السياقات الشخصية أو الأسرية أو الاجتماعية أو الفكرية أو السياسية، أو قد يكون ساعد على ظهور المشكلة أو كان سبباً مباشراً سابقاً لحدوثها، أو يكون عززها وأدى إلى تقويتها واستمرارها وحدتها.

(ج) معرفة أهم المعالجات الممكنة والأكثر فعالية للمشكلة في ضوء ما تم التعرف إليه من عوامل في (أ) و (ب).

لقد أثبتت الأحداث أن نموذج جماعة ابن يوسف والشافعية هو نموذج عربي إسلامي لا يصلح إلا لتفسير الظواهر الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية في البلدان العربية والإسلامية. ذلك لأن الذاكرة الحافظة

فيها أقوى دوافع السلوك الفردي والجمعي، وتُبقى الخلافات التاريخية والمرارات السابقة جوهرًا لصراعات وتصفية حسابات الحاضر والمستقبل، ولأن التركيب الخبيري للأفراد والجماعات يلعب دوراً كبيراً في إدراك الأحداث والتحديات والمطالب المعاصرة. فالعقل الفردي والجمعي، في هذه البلدان، يميل لتفسير قضايا العالم المعاصر وتحدياته بالصورة التي تتفق مع مركبات الأفراد والجماعات الخبيرية، لأن قدرات الأفراد والجماعات في معظم هذه البلدان تعتمد على تمييز الصائب والخطأ على خلفياتها الخبيرية الضعيفة عن الثابت والمتغير في كل المجالات. فالخلفية الخبيرية، كما يرى الباحث، هي التي تنظم معالجة المعلومات، وتحدد طبيعة التفكير ومستواه في أي موقف من المواقف. وبالتالي فهي التي تهيئ الفرد أو الجماعة للفعل المتحضر أو الكارثي، وللفعالية الذاتية أو الجمعية، أو للعجز والاستسلام الفردي والجمعي، ولتعلم مهارات حل المشكلات وأتقانها، أو للسلبية تجاه المشكلات الحادثة وتجنبها وعزوها لأسباب غير حقيقية، أو الاستجابة حيالها بصورة انفعالية لا تؤدي لأي نوع من الحلول العملية.

10. الخاتمة

تناولت الدراسة مجموعة من المفاهيم ومجالات الخبرة. تضمنت من المعاني، المعنى النفسي والاجتماعي والحرفي والمعرفي التوقعي والديني، وشملت عدة مجالات؛ هي المجال التربوي التعليمي، والاجتماعي، والاقتصادي. وأبانت الدراسة العوامل التي تؤدي إلى تسهيل أو إعاقة اكتساب الأفراد والجماعات للخبرات المطلوبة لتوافقهم مع قضايا عالمهم المعاصر وتحدياته. لقد أوضحت الدراسة علاقة الخبرة ببناء الشخصية القوية وبالأداء السلوكي للفرد والجماعة. كما أوضحت دورها في تفاعلات الأشخاص في الماضي والحاضر. وأبانت الأهمية البالغة لاتباع المنهج السليم لاصطفاء الثابت والمتغير في الخبرة، وما ينبغي أن يُستحدث من مؤسسات تربوية مستقبلية تقوم بتحديد أوجه النقص

والقصور في الخبرات الفردية والجمعية لإكمالها وسدها، وتحديد جوانب القوة لتعزيزها واستمرارها.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها ما يأتي:

1.10 إن أهم عناصر التوافق مع قضايا العالم المعاصر وتحدياته هما التكامل والتوازن ما بين الإنسان والمنهج والأرض.

2.10 إن من أهم قضايا العالم المعاصر وتحدياته هو النقص الخبري للأشخاص والمجتمعات، وأن أهم جوانب هذا النقص تتمثل في ضعف مهارات المناقشة والحوار، وفي الافتقار إلى مجموعة من الذكاءات، كالذكاء الاجتماعي، واللغوي، والانفعالي، والفكاهي، كما تتمثل في ضعف الفعالية الذاتية، الفردية والجمعية.

3.10 إن للخبرات الدينية تأثيرها الإيجابي على تفكير ووجدان وسلوك الفرد والجماعة، وفي تحديد درجة اتزان السلوك واعتداله مع النفس والآخرين والبيئة. تُعد هذه الخبرات مصدراً أساسياً لسلامة عناصر بناء الحضارة، وفي حفظ عقل الإنسان ونفسه وعرضه وماله ودينه. وأن الخلافات والصراعات والحروب غالباً ما تكون نتيجة للخلاف في اصطفاء أو انتقاء الثابت والمتغير من المبادئ التي تعلم هذه الخبرات؛ تعبدية كانت أم عقائدية أم ذات صلة بالمعاملات. وإن من أهم وسائل حسم هذه الخلافات أن يوكل الأمر للمخلصين من العلماء والمفكرين والمنقذين وأن تُراعى حقوق هذه الفئة، وتعمل المؤسسات الحكومية والمدنية على معالجة أسباب الجهل والتضييق غير العادل على بعض الجماعات، وأن يتم الاهتمام بالعلوم الشرعية وتربط بالواقع المعاصر.

4.10 إن أهم المعالجات للنقص الخبري للأشخاص والجماعات يمكن أن تكون من خلال اتخاذ المنهج السليم لانتقاء الثابت والمتغير من الخبرة، الذي يعتمد في جوهره على ثوابت الأشخاص والجماعات الثقافية والأخلاقية والقيمية والعقائدية، ومن خلال توفير مناخات العدل والحرية والمشاركة والمساواة ومراعاة الحقوق والحفاظ على الأرض، وأن يقوم بهذا الانتقاء العلماء والمفكرون والمنقذون.

5.10 إن إعداد إنسان المستقبل، صاحب المهارات والكفاءات والفعالية الذاتية والذكاءات المتكاملة والخبرات التوافقية، لا يتم بمعزل عن استحداث مؤسسات التربية المستقبلية.

6.10 إن من أهم خصائص مؤسسات المستقبل التربوية التأهيل الفكري والفني والعلمي لقيادتها التربوية، وحدائث مناهجها وأنشطتها وطرق تدريسها وتقنيات تعليمها وكادرها ورؤيتها، واستيعابها لتطور عصرها العلمي والتقني وقدرتها على الإفادة منه ومواكبته والتأثير فيه مع المحافظة على ثوابتها.

11. توصيات الدراسة

1.11 بناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، فإنه يكون من المناسب أن تُقدّم التوصيات الآتية وهي:

1.1.11 تصميم استبيان لقياس أهم مشكلات العالم المعاصر وطرق التوافق معها في رأي أعضاء هيئة التدريس "من مخلف القوميات" الذين يعملون في جامعة من الجامعات توطئة لإجراء دراسة عبر قومية في مجتمع النخب العلمية المثقفة بالوطن العربي.

2.1.11 إمكانية استخدام أسلوب للضبط الخبري الذاتي يمكن تسميته " التعاقد المعرفي - السلوكي - للضبط الخبري الذاتي". وأن تكون إجراءات هذا الأسلوب وفق الخطوات التالية:

(أ) تحديد الفرد لجوانب النقص الخبري في مجالات كل من المناقشة والحوار، الذكاء الاجتماعي، الذكاء الانفعالي، الذكاء اللغوي، الذكاء الفكاهي، الفعالية الذاتية والفعالية الجمعية.

(ب) تحديد الفرد لكيفية إكمال النقص الخبري في أي من المجالات أعلاه، وتحديد السلوك الإجرائي الذي يمكنه من إكمال النقص والفترة الزمنية التي سيقوم فيها بأداء ذلك السلوك، وذلك بتحديد ما ينبغي له أن يفعله لإكمال نقصه الخبري المعين في المجال المعين.

(ج) تحديدُ الخبرات أو السلوكيات المعبرة عن الخبرات أو العجزِ الخبيري والتي تعوق تعلم الخبرات المطلوبة، وترك السلوكيات السالبة ظاهرةً كانت أم غير ظاهرة؛ أي ترك ما ينبغي تركه لزيادة البناء الخبيري المطلوب.

(د) تحديدُ الخبرات القوية أو التوافقية والاستمرار فيها وتعزيزها ذاتياً بعد تحديد السلوك المعين الدالّ عليها والاستمرار فيه وتقويته بالممارسة المستمرة.

(هـ) تحديدُ الخبرات الماضية والحاضرة، التي لا يملك الفرد تغييرها وتعتبر خبراتٍ حتميةً ومقدّرة حسب الثابت، والعملُ على التسليم بها وقبولها وفهمها بأنها سنّة كونية جرت لخير أو اختبار أو بلاء، أو لحكمة قد لا يعلمها المرء، لكنها خير.

على الفرد أثناء تطبيق هذا الأسلوب أن يستخدم تقنية الحديث الإيجابي للذات، بأن يحدث نفسه بأنه قادر إن شاء الله وأنه سينجح في النهاية "بأن يحكم على قدرته على الضبط حكماً إيجابياً محسناً الظنّ بنفسه وربه"، وأن يصبر ويلتزم ببرنامج ضبطه الذاتي إلى أن تتحقق أهدافه في البناء الخبيري، وأن يتابع الأداء ويتابع مراقبته الذاتية لنفسه لتحديد العوامل المساعدة والمعوقة له في تطبيقاته في أي خطوة من خطوات برنامجه، وأن يعمل بالصورة التي تمكنه من معالجة سلبيات الممارسة وتعزيز إيجابياتها.

2.11 أما فيما يتعلق باهتمام بالمعنيين، فإنه تقدّم لهم التوصيات التالية. وهي:

1.2.11 الاهتمامُ الجاد والمدرّس ببرامج البناء الخبيري المتكاملة لإعداد الإنسان صاحب المهارات الحوارية والذكاءات المتكاملة والفعالية والضببط الذاتي، والملتزم بمنهجه ومواطنته وواجباته ومسؤولياته حيال الأرض والآخرين.

2.2.11 العملُ كفريق يضم العلماء والمفكرين والمتقنين من كل التخصصات ذات الصلات فيما بينها من خلال وحدات أو مراكز علمية لدراسة الثابت والمتغير وانتقائه في كل مجالات الحياة، ولإدارة الخلاف، ولإرساء دعائم

المنهج الشمولي المتكامل متعدد الأبعاد لضمان التطور الخبيري
والصيرورة التاريخية الآخذة بالتالد والحديث.

3.2.11 العملُ الجادُ لمعالجة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية،
وتوفير الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات وفرص المشاركة والمساواة
والحرية والعدالة الاجتماعية.

4.2.11 نقلُ المؤسسات التربوية إلى رحاب الألفية الثالثة من حيث المنهج،
والنشاط، وتقنيات التعليم، وطرق التدريس والإدارة التربوية، والمهارات
الفكرية والعلمية والإنسانية والفنية للمعلم، ومن حيث البيئة والمناخ
الأكاديمي، والارتباط بالمجتمع المحلي والعالم.

5.2.11 إتاحة الفرص الكافية لشرائح المجتمع المختلفة وخاصة الشباب للحوار
الأسري والاجتماعي والأكاديمي والسياسي. ذلك بأن تتاح لهم خبرات
الاشتغال بالعمل النافع مثل التعليم، والدعوة، والنشاط الصيفي،
والمعسكرات، وتكوين الروابط والجمعيات، كجمعيات أصدقاء المرضى
وجمعيات المواسة والبر والإحسان وحسن الخاتمة ورعاية المشردين
وتحفيظ القرآن. تتاح لهم كذلك فرص إقامة وإدارة الندوات والمناقشات
والمؤتمرات والمعارض والمسابقات، ويتم إشراكهم في النشاط الصحفي
والإذاعي والتلفزيوني والمسرحي والإرشادي والسياسي والاقتصادي
والديني، وتنظم لهم المؤتمرات واللقاءات والمعسكرات المشتركة من كل
دول العالم حتى تنمو مركباتهم الخيرية وإحساساتهم بالمواطنة والتعايش
والفعالية الذاتية والجمعية.

6.2.11 العملُ على تصويب الخطط والمناهج والسياسات والأهداف التربوية
والتعليمية وتحديثها واشتقاقها من الثوابت الشرعية والثقافية والتربوية ومن
المطالب والحاجات المتغيرة والمتجددة في العالم المعاصر.

7.2.11 تطوير وعي المؤسسات التربوية الرسمية وغير الرسمية، الذاتية والغيرية، بكيفية تحديد النقص والقوة الخيرية وكيفية العمل لمعالجة النقص وتعزيز القوة.

8.2.11 الدعم الكافي للمؤسسات الفقيرة النازحة والمستضعفة والمغتربة واللاجئة داخلياً وخارجياً بما تحتاجه من علم أو مال أو عدل أو رعاية وتكافل، أو تنمية للقدرات العقلية والإبداعية والمهنية والاجتماعية والتقنية والنفسية والتربوية.

9.2.11 إجراء الدراسات المسحية أو الارتباطية لمعرفة موقع مؤسساتنا التربوية في العالم المعاصر، ومعرفة طبيعة المطالب والتحديات المعاصرة وأنماط التوافق الفردي والجماعي لمقابلتها، ولمعرفة العلاقة بين الخبرات الدينية والفعالية الذاتية للأفراد والجماعات في التعامل مع قضايا عالمهم المعاصر.

10.2.11 تعليم الأسلوب التطبيقي المقترح والذي سماه الباحث "التعاقد المعرفي- السلوكي للضبط الخيري الذاتي" لكل الأسر والمؤسسات التربوية والحكومية ومؤسسات المجتمع المدني حتى يتم بناء المركب الخيري الذي ركزت عليه الدراسة كوسيلة تربوية لتنمية قوة الشخصية واستمرار الصيرورة التاريخية الثقافية والحضارية الفاعلة للمجتمعات. وذلك من خلال ورش العمل والمطبقات والندوات وإنشاء المواقع الإلكترونية والبرامج وتوظيف الفنون والتأليف والنشر ودمج الأسلوب كوحدة إرشادية تطبيقية ببرامج الدراسة العادية في كل المراحل الدراسية مع المتابعة والتقويم المستمر لنتائجه.

المراجع

أسعد، يوسف ميخائيل

2000 سيكولوجية الخبرة. القاهرة: دار غريب للنشر.

- أبرخت، كارل
(دت) **الذكاء الاجتماعي، عالم النجاح الجديد.**
بلال، محمد
2002 أنت وأنا. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
جرادات، محمد ناظم
1999 دور مدير المدرسة في تحسين المناخ الأكاديمي. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة
اليرموك. إربد الأردن.
الحارثي، على بن محمد
2006 دور مدير المدرسة الثانوية المتنامي في مواجهة الاحتياجات التربوية للمدرسة. مجلة كليات
المعلمين، 1/6. الرياض: وكالة وزارة التربية لكليات المعلمين.
خصاونة، عمر محمد علي
1997 "تصورات القادة التربويين في الأردن للأولويات التربوية في القرن الحادي والعشرين"، مجلة
دراسات مستقبلية. جامعة أسيوط، مركز دراسات المستقبل.
الزاوي، أحمد الطاهر
1973 ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير أو أساس البلاغة. بيروت.
الزنتاني، عبدالحميد العيد
1993 أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية الشريفة. ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.
زين العابدين، الطيب
1994 المنهجية الإسلامية والعلوم التربوية السلوكية. بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر
الإسلامي، الخرطوم.
سكينر، ب. ف.
1980 تكنولوجيا السلوك الإنساني. ترجمة عبدالقادر يوسف. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون
والآداب.
عبدالرحمن عثمان
2006 "التنشئة الثقافية للفرد وعلاقتها ببناء قوة الشخصية"، مجلة أفنان. تبوك.
العلواني، طه جابر
1991 إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات. الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي
للفكر الإسلامي.

- عويضة، كامل محمد أحمد
1996 *علم النفس*. بيروت.
- فوزي، إيمان
1996 *الصحة النفسية*. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- اللويحق، عبدالرحمن بن معلا
1999 *مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب - الآثار - العلاج*. 3 أجزاء. بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة.
- المتوكل، مهيد محمد
2004 *فاعلية شعيرة الصلاة في بناء الشخصية*. دراسة غير منشورة. أم درمان: جامعة أم درمان الإسلامية.
- مدني، عباس
1989 *مشكلات تربية في البلاد الإسلامية*. مكة المكرمة: مكتبة المنارة.
- المفدى، عمر عبدالرحمن
1993 *الحاجات النفسية للشباب ودور التربية في تلبيتها*. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- يالجن، مقداد
2004 *تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية*. الرياض: دار عالم الكتب.
- Bandura, Albert,
1999 *Self Efficacy in a Changing Society*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Mark A. Franke Reinecke, Frank M. Datilio and Arthur Freeman,
2002 *Cognitive Therapy with Children and Adolescents*,
New York- London: Guilford Press.